المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي

مركز بحوث كلية الآداب

الدراسات السردية الجديدة

قراءة المقامة أنموذجا

إعداد
الدكتور/ خالد بن محمد الجديع
أستاذ المشارك بقسم الأدب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دراسة علمية محكمة
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

ملخص باللغة العربية

شهد السرد العربي في العقدين الماضيين طفرة نقدية نقلته إلى مناطق جديدة أعيد فيها التعامل معه من خلال تغيير مناطق التبئير ومواطن القراءة . وليس استنتاجا عميقا أن يعزى ذلك إلى طروء مناهج نقدية حديثة تحاول تفكيك البنية التراثية ثم تسعى إلى إعادة بنائها بعد تشريحها وفق معطيات تقنية خاصة ، ولا يغيب عن تلك المناهج تتبع الإشارات المضيئة داخلها في إطار توظيف المقدرات السيميائية التي رفعت مستوى التعامل مع تلك السرديات بعد أن كان ينظر إليها على أنها نتاج عصر انحطاط ليس فيه سوى زخارف كلامية ترسف في أغلال الصنعة.

ولاتضاح التجنيس تماما في فن المقامة ، ولكثرة الدراسات الحديثة حوله من جهة وتنوعها من جهة أخرى ، ولأن البحث ينبغي ألا يتشتت فقد قصدت هذه الدراسة الوقوف على القراءات الجديدة التي تفاعلت مع السردية المقامية وأولتها اهتمامها .

البحث إذن لا يعالج الفن المقامي كما صنعت تلك الجهود ، ولكنه يقع في حيز تلقي التلقي ، فهو يقرأ تلك القراءات دون المواجهة المباشرة للنصوص ، إنه يوجه ناظره لما قيل عنها ، في محاولة لوضع تلك النظرات في ميزان التقويم .

ويستهدف هذا البحث المنجزات النقدية التي درست السردية المقامية من خلال الاستعانة بالمناهج الحديثة من شكلانية وبنيوية وتشريحية وشعرية وسيميائية ، وأحسب أن تلك المعالجات قد حققت نجاحات ينبغي أن ترصد وأن يعترف بفاعليتها.

من هنا انطلق البحث محاولا لم شتات تلك الدراسات المتفرقة موطنا ومنهجا ، ليقوم بعد تصنيفها بتقديم عرض لها يمهد لتحليلها وتقويمها ، بغية الوصول إلى النتائج التي تحققت من خلال تبني تلك المناهج .

على أن هذه الدراسة لم تجنح نحو استقطاب أمثال تلك المقاربات من باب الاحتفاء بالجديد فحسب ، ولكن لأنها شعرت أن تلك البحوث قد فعَّلت مسيرة التطوير بشكل متميز عندما قاربت السردية المقامية . ولم يكن هذا الشعور خادعا فقد برهن التحاور مع تلك المنجزات على الإحساس الاستشرافي المسبق .

مدخل

ظلت السرديات العربية فترة طويلة من الزمن حبيسة نظرة ضيقة تحيل على الإغراب اللفظي والزخارف البلاغية والصنعة الثقيلة، وقد قادت محاولات تثبيت هذا النسق إلى صدوف القارئ والناقد عن الاقتراب من ذلك الإرث السردي بهدف الاستمتاع القرائي، أو لأجل الدرس والنقد. وخلال العقدين الماضيين شهد السرد التراثي نقلة نوعية، تغيرت فيها مواقع الفحص ومناطق الرؤية، فعاد للسرد العربي القديم لمعانه ورواؤه، حيث قصدت المنجزات الحديثة إلى تفكيك البنية السردية عن طريق التحليل البنيوي والتشريحي، وغامرت بمقاربة شعريتها، وحاولت ملء كثير من البياض الذي تحفل به النصوص من خلال المعالجات السيميائية.

وإذا كان من المؤسف حقا أن يقوم الرافد الأجنبي ببعث ما أجهز عليه من تلك النصوص السردية فإن ما يبعث على الأسف أكثر أن يتم تجاهل ما ساقت إليه تلك النظريات من كشوفات تبعث على الدهشة.

لقد حققت الدراسات السردية المتوجهة نحو التراث في الآونة الأخيرة قفزات سريعة على مستوى الكم والكيف، لاسيما مع بروز نظريات التلقي والقراءة التي كان لها صدى واسع في عالم تلك الدراسات. وبتوزيع الأدوار داخل التخصصات، بحيث تولى نفر من

النقاد ترجمة الوافد والتنظير له[1] أتيح لكثير من النقاد – حتى التراثيين منهم – أن يعيدوا الالتفاف على تلك النصوص محاولين استنطاقها وفق ما جد من نظريات القراءة التي لم يقتصر تلقيها على الترجمة ، بل تعدى ذلك إلى الاستقلال الرؤيوي العربي[2] .

أقرر ذلك جازما أن الدرس النقدي قد تجاوز مرحلة الانبهار بالنظرية الغربية – وكثير منها يستحق ذلك – ليصل إلى مستوى التوظيف الواعي لتلك المفاهيم ، محاولا جعلها

---

(١) انظر على سبيل المثال :

– الحكاية الخرافية ، فريدرش فون دير لاين ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، مراجعة عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

– نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جينيت وآخرون ، ترجمة مصطفى ناجي ، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م .

– طرائق تحليل السرد ، لفيف من الباحثين الغربيين ، ترجمة عدد من الباحثين العرب ، الطبعة الأولى منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ١٩٩٢م .

– القارئ في الحكاية ، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٦م .

– الوجود والزمان والسرد ، بول ريكور ، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

– التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٠م .

– نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م .

(٢) انظر على سبيل المثال :

– القراءة والحداثة : مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية ، حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٠م .

– نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، حسن مصطفى سحلول ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .

– التلقي والتأويل ، محمد مفتاح ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

– إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، نصر حامد أبو زيد ، الطبعة السابعة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٥م .

نقاط استكشاف للنصوص السردية التراثية ، مع الاستعانة بالإبداع النقدي الذي لا يغني مع فقده التحاذق بنثر أسماء أربابها هنا وهناك .

وعندما أكتب عن هذا الموضوع فإني لا أحتفي بالجديد لمجرد جدته ، ولكن لأنه أضاف وطور وغيَّر ، وفق حداثة واعية . مع عدم إنكاري بأن بعض تلك الدراسات لم تزد على أن اتكأت كثيرا - مع سوء في التطبيق - على بروب وباختين ولوكاش وجاكبسون وبارت وتودوروف في إحالات هي أقرب إلى إظهار المعرفة بأولئك القوم منها إلى مواجهة النصوص واقتحامها .

وربما جعلت بعض الدراسات من تلك الأسماء وأطروحاتهم عكازا يعول عليه في تقويل النص أمورا لا يوحي بها . ومع أني لا أعترض على مبدأ تقويل النص أو مساعدته على أن يقول — من حيث المبدأ — لكني أسجل اعتراضي على كثير من التأويلات البعيدة التي لا تحتاج إلى تأمل كبير لكشف عدم تماسها مع النص . وبالمقابل فإني لا أستطيع أن أخفي إعجابي بكثير من تلك الدراسات التي تفاعلت مع المعطى الغربي وقرأت السرد التراثي من خلاله قراءة نصية أو تأويلية تراعي خصوصية المنتج التراثي .

وقد تناولت تلك القراءات الجديدة أنواع السرد العربي القديم كلها دون استثناء، فالقصة الخرافية استقطبت عددا منها[٣] ،

---

(٣) انظر :

- دراسة عبدالفتاح كيليطو عن السندباد في كتابه الأدب والغرابة ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٩٥ .
- دراسة عبدالله الغذامي عن تكاذيب الأعراب في كتابه القصيدة والنص المضاد ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م ، ص١١٣ .
- دراسة عبدالله إبراهيم عن الحكاية الخرافية : تشكل النوع والبنية السردية ، في كتابه السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٨١ .
- بحث علي عبيد في تحليل النص الخرافي القديم : حديث خرافة أنموذجا ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٤٥ ، ٢٠٠١م، ص٢٨٥ .

وحكايات ألف ليلة وليلة على وجه الخصوص لاقت عناية خاصة[٤]، والسير الشعبية جذبت لفيفا من

---

(٤) انظر :

- دراسة عبدالفتاح كيليطو عن قصة الصياد والعفريت والواردة في ألف ليلة وليلة في كتابه الحكاية والتأويل: دراسات في السرد العربي ، الطبعة الأولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨م ، ص٢١.

- ألف ليلة وليلة : دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد ، عبدالملك مرتاض ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م .

- دراسة عبدالله إبراهيم عن ألف ليلة وليلة في كتابه السردية العربية ص٩٦.

- البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، فريال جبوري غزول، فصول، مجلد ١٢، العدد ٤، ١٩٩٤م ، ص٧٦ .

- العين والإبرة: دراسة في ألف ليلة وليلة ، عبدالفتاح كيليطو ، ترجمة مصطفى النحال ، مراجعة محمد برادة، الطبعة الأولى ، نشر الفنك ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦م.

- دراسة محسن جاسم الموسوي عن الحاكي والمحكي في ألف ليلة وليلة ، في كتابه سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م ، ص١٧٥ .

- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير ، جمال الدين بن الشيخ ، ترجمة محمد برادة وآخرين ، الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- مجتمع ألف ليلة وليلة ، محسن جاسم الموسوي ، الطبعة الأولى ، مركز النشر الجامعي ، تونس، ٢٠٠٠م.

- بيان شهرزاد : التشكلات النوعية لصور الليالي ، شرف الدين ماجد ولين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

- دراسة نادر كاظم عن الأسود في ألف ليلة وليلة في كتابه تمثيلات الآخر : صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص٣٩٨ .

-بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة ، المصطفى مويقن ، الطبعة الأولى ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٥م.

- دراسة سعيد يقطين عن التعالق النصي بين ليالي ألف ليلة وألف ليلة وليلة في كتابه الرواية والتراث السردي، الطبعة الأولى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٥٧ .

النـــقـــاد[٥]، وقصص الحيوان سجلت حضورا لا بأس به[٦] ، ولم يخل القصص العـــربي العام كرسالة الغفـــران لأبـــي العلاء المعري[٧] ، ورسالة التـــوابع والزوابـــع

---

٥) انظر :

- ذخيرة العجائب العربية : سيف بن ذي يزن ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م .
- سيرة بني هلال: مدخل إلى قراءة جديدة، سعيد يقطين، مجلة نزوى، عمان، العدد ٣، ١٩٩٥م، ص٨١ .
- قال الراوي : البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العـــربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م .
- الكلام والخبر ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م .
- مقاربة سيميائية لمحفزات السرد والنص الباطن في سيرة الظاهر بيبرس ، محمد منصور أباحسين ، فـــصول ، العدد ٦٠، ٢٠٠٢م ، ص٢٩٨ .
- دراسة علي بن تميم عن السرد في السير الشعبية في كتابه السرد والظاهرة الدرامية ، الطبعة الأولى ، المركـــز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م ، ص٢٢٩ .

(٦) انظر :

- المنهج الجدلي في تحليل القصص ، جدلية الحكمة والسلطان ، تحليل نص مثل الأرنب والأسد ، توفيق بكار، ندوة القراءة والكتابة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، ١٩٨٨م ، ص٦٥ .
- دراسة عبدالفتاح كيليطو عن السرد في كليلة ودمنة في كتابه الحكاية والتأويل ص٣٣ .
- قصص الحيـــوان في موروثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي ، فريال جبوري غـــزول ، فـــصول ، العـــدد ١٣ ، ١٩٩٤م ، ص١٣٤ .
- بيان القراءة عند ابن المقفع من خلال عرضه لكتاب كليلة ودمنة ، سعيد يقطين ، جذور ، النـــادي الأدبي الثقافي بجدة ، العدد الثالث ، ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م ، ص٨١ .

(٧) انظر :

- البنية القصصية في رسالة الغفران، حسين الواد، الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تـــونس ، ١٣٩٥هـــــ - ١٩٧٥م .
- في القراءة الأدبية للنص : رسالة الغفران ، فرج بن رمضان ، مجلة فواصل ، الجزء الأول ، دار محمد علـــي الحامي للنشر ، ١٩٩٠م ، ص١٨ .
- المكان في رسالة الغفران : أشكاله ووظائفه ، عبدالوهاب زغدان ، تقديم محمد الخبو ، الطبعة الثانيـــة ، دار صامد للنشر والتوزيع ، صفاقس — الجمهورية التونسية ، ١٩٩٥م .
- دراسة محسن جاسم الموسوي عن مخاتلات النص في غفران أبي العلاء المعري في كتابه سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ، ص١٠١ .

لابن شهيد من دراسات حداثية تداورهما[٨] ، وتوسعت الدراسات السردية لتحتضن السرد العربي داخل المصنفات الأدبية للجاحظ والتوحيدي[٩] .

أما المقامات فقد انصب عليها جهد مكثف ومتنوع يغري بقراءة القراءة وتلقي التلقي . ولاتضاح التجنيس تماما في فن المقامة ، ولكثرة الدراسات الحديثة حوله من جهة وتنوعها من جهة أخرى ، ولأن البحث ينبغي ألا يتشتت فقد قصدت هذه الدراسة الوقوف على القراءات الجديدة التي تفاعلت مع السردية المقامية وأولتها اهتمامها .

البحث إذن لا يقرأ الفن المقامي كما صنعت تلك الجهود ، ولكنه يقرأ تلك القراءات ، فهو لا يهتم بالنص بل يوجه ناظره لما قيل عنه ، في محاولة لوضع تلك النظرات في ميزان التقويم .

---

(٨) انظر :

- البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، عبدالعزيز شبيل ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٢٩ ، ١٩٨٨م ، ص٣٩ .
- جدلية المماثلة والمقابلة في التوابع والزوابع لابن شهيد ، توفيق بكار ، دراسات أندلسية ، تونس ، العدد ١٠، ١٩٩٤ م ، ص٥ .
- تشكل النوع القصصي : قراءة في رسالة التوابع والزوابع ، ألفت كمال الروبي ، مجلة فصول ، المجلد ١٤، العدد ٤ ، شتاء ١٩٩٦م ، ص٩٨ .

(٩) انظر :

- دراسة محسن جاسم الموسوي عن السرد عند الجاحظ وفعل السرد عند التوحيدي في كتابه سرديات العصر الإسلامي الوسيط ص ٥٥ و ص٧٩ .
- الملامح القصصية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، ورد محمدي مكاوي العزب ، جذور ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، العدد الثالث ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ص٢٣٧ .
- الإمتاع والمؤانسة وطروس الكتابة، صالح بن رمضان، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٤٥، ٢٠٠١م، ص٢٣١.
- الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان للجاحظ، حمادي صمود، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٤٥، ٢٠٠١م ، ص١٩٩ .

وقد سبق هذا الجهد محاولتان إحداهما لنادر كاظم في كتابه (المقامات والتلقي) ، والأخرى لضياء الكعبي في كتابها (السرد العربي القديم : الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل) ، وعلى ما في هاتين القراءتين من جهد ظاهر ، ومنهجية محكمة - إذ كلاهما كان أطروحة علمية - فإن الأولى منهما قد اقتصرت على تلقي مقامات بديع الزمان الهمذاني فحسب دون بقية المقاميين ، وهذا البحث قد فتح الباب على مصراعيه للجنس المقامي على امتداد عصوره ، ومع ذلك فات على عمل نادر كاظم حتى على الرغم من ضيق مجاله كتابان مهمان درسا السردية المقامية عند بديع الزمان هما :

١. القصة العربية عصر الإبداع : دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري، ناصر موافي .

٢. السرد في مقامات الهمذاني ، أيمن بكر .

والعملان لا يستهان بهما في هذا المجال ؛ لأنهما رسالتان علميتان أولا ، ولكونها يتصفان بعمق التعامل مع النصوص السردية الهمذانية .

أما دراسة ضياء الكعبي فلم تكن خاصة بالفن المقامي وإنما توجهت للسرد العربي القديم كله، مما استعصى معه الاستقصاء ، بالإضافة إلى أن الدراسة لم تكن خالصة في تلقي تلك السرديات المتنوعة ،بل أفردت فصولا في تشكل الأنواع ، وأخرى في أنساقها الثقافية ، ليجيء التلقي لها جميعا في نهاية القائمة، وأدنى نظر في قائمة الأعمال النقدية التي سأخصها في هذه الدراسة بالبحث يتبين من خلاله أن كثيرا مما تضمه هذه القائمة لم يرد في دراسة الكعبي .

وقبل سرد قائمة الدراسات الحديثة التي تعاملت مع البنية المقامية أنقل للقارئ الكريم حيرة تملكتني عند محاولة التخطيط لهذا البحث ، فمن نافلة القول : إن كل جهد علمي ينبغي أن يسير على خطة محكمة تساعد الباحث على ضبط موضوعه وإحكام السيطرة عليه، ومن هذا المنطلق فكرت في عدة تقسيمات يمكن أن يخضع لها التناول ، لكنها وللأسف عادت علي في النهاية بخيبة باهظة ، فتقسيم تلك الدراسة إلى نظري وتطبيقي ليس

مجديا لأن غالبها يسعى نحو التطبيق لا إلى التنظير ، ولا يمكن حتى مع شدة التمحل فصل التنظيري - على قلته - عن التطبيقي . فخصوصية هذا الموضوع جعلتني أستبعد هذا المنهج الذي سيشعر القارئ بإقحامه وعدم ملاءمته .

وفصل العرض الوصفي لتلك الأعمال عن نقدها والاستدراك عليها – بوصفه خيارا بحثيا ثانيا - سيقطع البحث إلى أوصال ، وسيجعل الجزء الوصفي منها باهتا ليس فيه من جهد سوى مجرد العرض ؛ ولذا رأيت أن إلحاق النقد والاستدراك بالتوصيف يجعل الصورة تبدو أكثر تكاملا .

حاولت ثالثا أن أعيد قراءة تلك الأعمال من منظور تطويري ساعيا إلى تقسيم تلك القراءات إلى مراحل ، بحيث تكون لكل مرحلة سماتها ، وتظهر بعد ذلك بعنوان مستقل ، لكن إعادة القراءة زادتني قناعة بأنه لا مراحل في هذه المنجزات النقدية ، فهي أقرب إلى المرحلة الواحدة التي لها ما يميزها وما يعيبها ؛ وبذلك سقط الخيار المرحلي .

وكانت فكرة الخيار الرابع قائمة على التجنيس ، فالدراسات التي تأخذ الطابع البنيوي يمكن أن تأخذ قسما ، والدراسات التي تسعى نحو التأويل تستقل بآخر ، لكن هذا التقسيم وإن بدا منطقيا عند التنظير فإنه تبدد عند الرغبة في التطبيق ، إذ اختلط المنهجان في كثير من هذه الدراسات بحيث أضحى من العسير الفصل ، فالمنجزات التأويلية لم تخل من دراسة بنيوية ، والأعمال التي تأخذ الطابع البنيوي لم تنج من التأويل .

ولم تسلم فكرة الخيار الخامس من غرابة منذ بدايتها، إذ كانت قائمة على تقسيم أعمال النقاد قسمين ، يضم الأول منهما الكتب ، والآخر البحوث . وقد سار بي هذا التقسيم مسافة ليست بالطويلة كنت فيها أخادع نفسي بجدواه ، لكني أيقنت في النهاية أن مثل هذا الصنيع يصلح لتقسيم المصادر والمراجع التي يذيل بها البحث ، لا لجعله منطلقا لتقويم الأعمال ، فقد أدركت أن بعض تلك البحوث يعادل في قيمته كتابا متخصصا ، وأن بعض تلك الكتب كان بحثا منشورا ثم تحول إلى كتاب .

لعل هذه الثرثرة التي صاحبت بداية البحث والتي تصور حيرتي في اتباع منهج تقسيمي أن تشفع لي لدى القارئ في خلو البحث من العنوانات التقسيمية ، مما يوهم - للوهلة الأولى - ببدائية العرض ، لكن ماذا بوسعي أن أفعل إذا رأيت أن هذه الطريقة هي الأفضل في معالجة الموضوع سوى أن أسلكها مرغما ، وأشرك القارئ في المعاناة .

أولا- لائحة الأبحاث والدراسات:

قبل أن أسوق قائمة الكتب والأبحاث التي فرض علي عنوان الرسالة اقتناءها والسعي للحصول عليها أشير إلى أن هذا الموضوع ليس كغيره من البحوث الأخرى التي كتبت عنها ؛ فحداثته أفضت إلى عدم توافر مادة الدراسة في المكتبات القريبة مني ؛ مما دفعني إلى استنفار الأصدقاء في مصر والشام والمغرب العربي ، لمساعدتي في الحصول على ما لم أتمكن من الوصول إليه ، وقد استجابوا للاستغاثة ولبوا النداء ، مؤكدين أن العلم رحم بين أهله ، فلهم مني عميق الشكر وخالص العرفان .

وتضم هذه اللائحة المنجزات النقدية التي درست السردية المقامية من خلال الاستعانة بالمناهج الحديثة من شكلانية وبنيوية وتشريحية وشعرية وسيميائية ، وأحسب أن تلك المعالجات قد حققت نجاحات ينبغي أن ترصد، وأن يعترف بفاعليتها ، ولكي يكون التقويم دقيقا فإني لم أنتق عملا ، وأترك آخر ، بل حرصت على الوصول إلى هذه الدراسات جميعها ، وهي[١٠] :

١- دراسة محمد رشيد ثابت ، وعنوانها : البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام (١٩٧٥م) .

٢- دراسات عبدالفتاح كيليطو ، وله في السرد المقامي ثلاثة كتب :

- الأدب والغرابة (١٩٨٢م) وفيه فصل عن مقامات الزمخشري .
- الغائب : دراسة في مقامة للحريري (١٩٨٧م) .
- المقامات : السرد والأنساق الثقافية (١٩٩٣م) .

---

(١٠) راعيت في ترتيب أصحاب هذه الدراسات تاريخ صدورها ، فأيها كان أقدم فلمؤلفه الأسبقية ، فإن كان للمؤلف الواحد أكثر من عمل فيأتي ترتيبه بناء على صدور أقدم عمله له ، وترتب بعد ذلك أعماله متسلسلة حسب تاريخها .

٣- دراسة فدوى مالطي دوجلاس عن المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني في كتابها : بناء النص التراثي (١٩٨٥م) .

٤- دراسة حمادي صمود عن المقامة في كتابه : الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة (١٩٨٨م) .

٥- دراسة توفيق بكار عن جدلية الأدب والذهب في المقامة المضيرية في مجلة الحياة الثقافية (١٩٩١م) .

٦- دراسة عبدالله إبراهيم عن تشكل النوع والبنية السردية في المقامة العربية في كتابه السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي (١٩٩٢م) .

٧- دراسة عبدالله الغذامي عن المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني ، وعنوانها : القمر الأسود أو النص القاتل ، في كتابه المشاكلة والاختلاف (١٩٩٤م) .

٨- دراسة ناصر موافي عن مقامات بديع الزمان في كتابه القصة العربية عصر الإبداع : دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري (١٩٩٥م) .

٩- دراسة عبدالملك مرتاض التي تتجه نحو مقاربة المقامة السيوطية من منظور سيميائي ، وعنوانها : مقامات السيوطي : دراسة (١٩٩٦م) .

١٠- دراسة محسن جاسم الموسوي عن مقامات الجوابين والخروج من جبة الجاحظ في كتابه سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط (١٩٩٧م) .

١١- دراسة مصطفى ناصف عن المقامة في كتابه محاورات مع النثر العربي (١٩٩٧م) .

١٢- دراسة عبدالنبي اصطيف ، وعنوانها : المقامة السيوطية : دراسة نصية ، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٩٧م) .

١٣- دراسة أيمن بكر ، وعنوانها : السرد في مقامات الهمذاني (١٩٩٨م) .

١٤- دراسة رشيد الإدريسي ، وعنوانها : سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة (٢٠٠٠م) .

١٥- دراسة عبدالله الغزالي عن البناء السردي في مقامات السيوطي في المجلة العربية للعلوم الإنسانية (٢٠٠٠م) .

١٦- دراسة حسن النعمي عن غواية السرد في المقامة البغدادية للحريري ، في دورية جذور (٢٠٠٠م) .

١٧- دراسة خالد الجديع عن البنية السردية في المقامة المشرقية في كتابه المقامات المشرقية "٥٥٠ — ١٢٠٠هـ "[١١] (٢٠٠١م) .

١٨- دراسة سمير الدروبي ، وعنوانها : الرمز في مقامات السيوطي (٢٠٠١م).

١٩- دراسة أبلاغ عبدالجليل ، وعنوانها : شعرية النص النثري : مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري (٢٠٠٢م) .

٢٠- دراسة نادر كاظم ، وعنوانها : المقامات والتلقي : بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث (٢٠٠٣م) .

٢١- دراسة علي بن تميم عن الدراما في الجنس المقامي في كتابه السرد والظاهرة الدرامية: دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم (٢٠٠٣م) .

٢٢- دراسة فيصل دراج عن فتنة الماضي وسطوة الأصول في ليالي سطيح في كتابه الرواية وتأويل التاريخ (٢٠٠٤م) .

٢٣- دراسة ضياء الكعبي عن المقامات في كتابها السرد العربي القديم : الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل (٢٠٠٥م) .

---

(١١) سأضرب صفحا عن تناول الكتاب عند العرض والتقويم خشية الوقوع في مأزق الحديث عن الذات .

ثانيا - جهود النقاد في دراسة السردية المقامية (وصف ونقد) :

كما راعت اللائحة السابقة البعد التاريخي في تسلسل المنجزات النقدية الحديثة التي قرأت المقامة العربية فإن هذا المبحث سيضع ذلك في الاعتبار مستندا على الترتيب الماضي لتبدأ البنية الدائرية من جديد :

١ - دراسة محمد رشيد ثابت :

كتب هذا الباحث دراسته التي عنوانها (البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام) سنة ١٩٧٥م ، وهو تاريخ ضارب في القدم ، ولم ينتج بعدها في هذا الحقل عملا آخر .

وإذا كانت الدراسة الصادرة قبل عقود – كما في هذا الكتاب - لا يترشح صاحبها لدخول هذا البحث فإن الأدوات النقدية والآلات الكتابية الحديثة المستعملة فيها قد شفعت لهذا الناقد وسوغت إخضاع كتابه للفحص ، إذ الحداثة - التي يستقطب هذا البحث المتصف بها - وإن كانت تراعي معيار الزمن، لكن المعطيات النقدية محل نظرها أيضا، ومن هنا فقد استبعدنا بعض الدراسات الصادرة بعد هذا التاريخ حتى وإن كانت حديثة الصدور جدا ؛ لأنها إما أن تدور في فلك الوصف فحسب ، وإما أن تقول شيئا سبقت إليه ، وسيكشف البحث تقدم هذه الدراسة وريادتها من خلال مقاربة أسلحتها النقدية .

ويمكن عد هذا الكتاب مغامرة مبكرة تتسم بالعلمية والجرأة . حيث تطمح إلى دراسة الفن المقامي من خلال تطبيق المناهج والنظريات المعاصرة ، فالمنجزات التي تحققت على أيدي الشكليين الروس وعلى رأسهم تودوروف تجد مساحة واسعة لدى هذا الباحث . لكنها ليست مساحة المستسلم المستلب ، بل المحاور الممحص ؛ فهو ينفذ إلى (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي محكوما بطبيعته دون إقحام وسائل خارجه عن نطاقه .

ومجال الأحداث في هذا الحديث كان عالم اللاوعي ، لكونه رؤيا منامية؛ ولذا يقول محمد رشيد ثابت مدركا أبعادها : " من المتوقع أن يخضع تسلسلها وانتظامها لقوانين هذا العالم بما فيه من تداخل وغموض ، باعتباره غير خاضع لأي قيد من القيود الاجتماعية التي كثيرا ما تعدل سلوك الفرد وأقواله داخل المجتمع ، وباعتباره متحررا من حدود الزمان المكان "[١٢] ولأن الراوي سيغير المسار مازجا وعيه بلا وعي الأحداث يستدرك – في حيطة منهجية - قائلا " لكن الجملة السابقة لا تدل فقط على أن الأحداث التي ستروى سبق تصورها في الحلم ، بل تدل كذلك على أن الراوي بصدد سرد ما شاهده في هذا الحلم وفي هذه الحالة يلتقي الوعي باللاوعي فتصبح وظيفة الراوي تبعا لذلك إعادة بناء عالم مفكك ومتحرر بوسائل عالم منطقي محدود "[١٣] .

ويكشف عند تعامله مع الزمن في حديث عيسى بن هشام عن تقنيات متطورة ، يتمكن من تطبيقها على نصوصه بمنهجية صارمة ، فطرق العرض الزمني تمثلت لديه في :

- طريقة التتابع أو النظم .
- طريقة التوازي .
- طريقة التضمين .
- طريقة التداول .
- طريقة التأجيل[١٤] .

وخلص إلى أن للسرد في (حديث عيسى بن هشام) وظيفتين ، إحداهما تسعى إلى متابعة الأحداث وأعمال الشخصيات ، والأخرى تعمل على التذكير بالمراحل القصصية المقطوعة ، وقسم أنماطه إلى :

---

(١٢) البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام ، محمد رشيد ثابت ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٣٩٥م – ١٩٧٥ ، ص٣٤ .

(١٣) المرجع السابق ص٣٤ .

(١٤) انظر : المرجع السابق ص٣٨ وما بعدها .

- السرد القصصي .
- السرد التمثيلي .
- السرد التسجيلي .
- السرد التذكيري .[١٥]

ويحرص على المنطقية عند دراسته لأنواع الحوار ووظائفه في الحديث ، وفي مبحث حضور الراوي يكشف عن علاقته بالأشخاص التي تراوحت بين العلاقة التنافرية والعلاقة الاتحادية[١٦] .

وهو في كل ذلك لا يستورد مقاسات قدت لغيرنا ويرغم النصوص على التعامل معها ، بل يشعر القارئ بأن النصوص تنساق مطواعة دون تمحل أو اعتساف ؛ ومن هنا يمكن أن تسجل أولية الحداثة الواعية في دراسة السردية المقامية لهذا الكتاب الذي أحسب أن حديثي عن مفردات مخططه قد كشف عن الجهد الكبير الذي رافق إخراجه ، وأوضح صعوبة المغامرة التي جنح الكاتب إليها .

لكن أهم ما يؤخذ على هذا الكتاب هو أنه لم يعط تلك المنجزات النقدية حقها في تقديم نفسها ، بحيث لا يتمكن القارئ - في كثير من الأحيان — من معرفة ما إذا كان التطبيق الذي خلص إليه هو من إبداعاته النقدية أو هو مجرد حصيلة للمنجز النقدي الغربي الذي ظهر الاحتفاء به منذ مطلع الكتاب .

---

(١٥) انظر : المرجع السابق ص٧٦ .

(١٦) انظر : المرجع السابق ص١٠٧ .

٢- دراسات عبدالفتاح كيليطو :

أسدى هذا الباحث المتميز للدرس التراثي المقامي ثلاثة كتب جادة حاول من خلالها النظر إلى فن مقامة نظرة مختلفة لا تسير في تيار التغني بالأمجاد السلفية، ولا في مسار التلقي الاستبعادي الذي لم ير في المقامات سوى حيل حياتية مغلفة بقشور الصنعة والتكلف.

وقد بدأت مسيرة كيليطو مع المقامة العربية في أول الثمانينات من القرن الميلادي المنصرم، حيث درس في كتابه (الأدب والغرابة) ألوانا من السرد العربي القديم دراسة بنيوية ، ولأن المقامة جنس سردي فقد برزت بشكل واضح في عمله ، إذ حاول تلمس أدوار الراوية في مقامات بديع الزمان[١٧] ، وعقد مبحثا لمقامات الحريري حلل فيه جزءا من المقامة الثامنة عشرة متوفقا عند إشاراتها الثقافية ، ومبديا بعض المقترحات القرائية التي دارت عنده حول عنوانات أبرزها الترتيب السلمي والشخصية البراقشية والمقمقة[١٨] ، ولأن مقامات الزمخشري تختلف في ظاهرها عن مقامات الهمذاني والحريري فقد خصها بمبحث قارب من خلاله بنيتها السردية[١٩] .

والكتاب السالف أقرب إلى محاولة لفت النظر إلى الأجناس السردية في التراث العربي ، في دعوة إلى إعادة تفحصها ودرسها . وتبلغ المقاربة مع الجنس المقامي أشدها عند هذا الناقد من خلال تحليله التأويلي للمقامة الكوفية للحريري في كتابه (الغائب : دراسة في مقامة للحريري) حيث كشفت قراءته لهاته المقامة عن أسلحة حداد ، أخذ يتلاعب بها بكل اقتدار داخل السردية الحريرية ، فقد قدَّ بنيتها إلى مقاطع نصية ، وأفلح في تنشيط التراكيب التي تبدو للوهلة الأولى كسولة لا تسمح بالأبعاد التأويلية ، لكنها ما تلبث أن تستحيل على يد هذا الناقد إلى عبارات مكثفة تمتلئ بالأسئلة والافتراضات والتأويلات .

---

(١٧) انظر : الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٢٦ .

(١٨) انظر : المرجع السابق ، ص٢٦ .

(١٩) انظر : المرجع السابق ص٧٨ .

يخاتل كيليطو القارئ بطرح بعض التأويلات التي يستبعدها هذا الأخير في بداية عرضها، فيسايره كيليطو شيئا فشيئا موظفا المعاجم والموسوعات ورابطا بين تأويله ونصوص سردية أخرى أو مقاطع مغايرة للحريري نفسه ليصل بالقارئ في النهاية إلى الاقتناع بالأفكار التأويلية التي يسوقها .

يقف - على سبيل المثال – عند قول الحريري في هذه المقامة : " وجراب كفؤاد أم موسى "[٢٠] ، فلو فسر العبارة بقوله : أي فارغ ، معتمدا على الآية الكريمة : " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا "[٢١] لملأ بياض النص بشيء صحيح ، لكنه ليس جديدا ، ومن السهل على القارئ العادي أن يكتشف ذلك ، فماذا فعل كيليطو ؟ ، لقد أوغل في العمق وسحب القارئ إلى دلالة الآية الكريمة ليربط بين إلقاء أم موسى لابنها وهي فزعة خائفة وتحت ظروف قاهرة ، و ترك أبي زيد لولده الذي سيأتي الحديث عنه ، فموسى قد ألقي في اليم وليدا ، لا يعرف حتى والديه ، وهكذا الأمر مع السروجي الذي ستشير الحكاية إلى أنه ترك ولده قبل أن يخرج إلى الدنيا ، فكأن هذه العبارة تدعو القارئ إلى التنبؤ بالمأساة التي ستحصل ، ثم إن موسى عليه السلام يستعمل العصا لأمور خارقة ومعجزة ، وهكذا يصنع أبو زيد الذي يستعين بالعصا لتحقيق مآرب أخرى غير التوكؤ عليها[٢٢] .

إن هذا التنشيط الذي يقوم به هذا الناقد لملء بياضات النص هو ما أعاد إلى المقامة رونقها وثراءها ، وأثبت أنها قادرة على تقديم فتوحات تفاجئ القارئ كلما تعمق في التحليل .

وإذا كان بديع الزمان هو مخترع الفن المقامي والأب الشرعي له فإن كيليطو في كتابه (المقامات : السرد والأنساق الثقافية) قد أسس لنفسه أبوة جديدة في مجال الدراسات

---

(٢٠) مقامات الحريري ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص٤٥ .

(٢١) سورة القصص ، الآية ١٠ .

(٢٢) انظر : الغائب : دراسة في مقامة للحريري ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ، ص٥٧

السردية للنصوص المقامية ، فهو باحث يأخذ نفسه بالجد والاجتهاد ، ولا يقنع بما يعطيه له النص للوهلة الأولى ، بل يكابد ويتفحص ويدقق محاولا الإتيان بالجديد ، ومن هنا غيَّر في هذا الكتاب مواطن القراءة المقامية ، وحوّل مناطق التبئير المقامي ، ليحرف بذلك مسار التلقي الساخط على المقامة العربية إلى أراض بكر ، يمكن أن تخصب إذا تعهدها القارئ الفاعل بالتنشيط التأويلي .

ولم يقارب كيليطو النصوص المقامية بعيدا عن النسق الثقافي الذي يعني " مواضعة (اجتماعية ، دينية ، أخلاقية ...) تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية، و التي يقبلها ضمنيا القارئ وجمهوره "[٢٣] ، بل كانت الأنساق الثقافية حاضرة أثناء تماس هذا الناقد مع الآثار المقامية .

والكتاب في أصله رسالة دكتوراه تغامر بمد جسور التأويل بين القارئ والمؤلف ، لسماع صوت المسكوت عنه في تلك الأعمال ، وقد سعى كيليطو إلى ذلك من خلال خمسة عشر فصلا حفلت بعنوانات مثيرة ، لا أشك في أنها وُضِعت بعد أنهى هذا الناقد دراسته ، فهي أشبه بالإضاءات المدشنة لمسار كل مبحث . أقرر ذلك لأنحي باللائمة على كثير من الدراسات المقامية التي ثُبِّتت عنواناتها بل حسمت نتائجها قبل أن يشرع الباحث بالدرس والتحليل ، ولا فرق بعد ذلك بين أن تكون النتائج في تلك المنجزات مع المقامة أو ضدها [٢٤] .

---

(٢٣) المقامات : السرد والأنساق الثقافية ، ترجمة عبدالكبير العلمي ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٣م ، ص٨ .

(٢٤) يمكن أن يصنف في التيار الاحتفائي المتغني بالتراث المقامي كتاب كنوز الاجداد ، محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م . ويمثل المسار الإقصائي كتاب أسطورة الأدب الرفيع، علي الوردي ، دار كوفان للنشر ، بيروت ، ١٩٩٤م ، وهذا الأخير على الرغم من حداثة أسلحته النقدية قياسا بسابقه فإنها لم تسعفه في الوصول إلى نتائج منطقية ؛ نظرا للأحكام المسبقة التي تبناها ، والتي يلحظ القارئ نتائجها الساعية إلى تقويض الجهد المقامي - على اختلاف مستوياته - قبل أن يستمع إلى مسوغات إطلاقها .

لقد كشف كيليطو عند مقاربته للزمن في مقامات بديع الزمان عن أن راويته عيسى بن هشام عمِّر مئات السنين ، وتلك لفتة لم يفطن لها - فيما رصدت من آراء الدارسين - ناقد قبله ، ويسوق كيليطو الأسباب المقنعة التي دفعته إلى ذلك الرأي سالكا سبيل الاستقراء للأحداث القصصية التي يرويها عيسى بن هشام ، فهو مرة يشترك في غزوة ضد البيزنطيين سنة ٣٧٥هـ ، وتارة يجالس عصمة بن بدر الفزاري الذي عاين دون وسيط مناقضة شعرية جرت في قلب الصحراء بين الفرزدق وذي الرمة ، وهما شاعران عاشا أواخر القرن الأول الهجري[٢٥] .

ويقوده التأويل المقنن إلى اكتشاف ملخصه أن الشعر كان وصمة خزي وعار في عهد الهمذاني ، وهو لا يطلق هذا الحكم جزافا ، بل يصل إليه بعد تحليل عميق للمناظرة التي جرت بين بديع الزمان والخوارزمي[٢٦] .

وعند معالجته لعمل ابن شرف القيرواني الذي أُلحِق بالمقامات يعرضه على مشرحته النقدية ، ويعمل فيه مباضعه الجريئة التي تجاوزت الجلد واللحم لتصل إلى العظم ، فيقرر بعد ذلك بعد الشقة بين العملين[٢٧] .

وتحيل مقامة ابن بطلان على قضايا غرائبية يفرد لها كيليطو مبحثا للتحاور معها ، ويتلمس أسباب ذلك ، ثم يستخدم أسلحة جديدة يربط من خلالها هذا العمل بكليلة ودمنة والحكاية الخرافية[٢٨] .

وفي معرض مداورته لمقامات ابن ناقيا يكشف عن الوسائل التي استدعاها هذا الأخير لتشغيل حكاياته ، ولتبرير كتابه ، وتبدو سطوة النسق الثقافي ماثلة أثناء

---

(٢٥) انظر : المقامات : السرد والأنساق الثقافية ص١٧ .

(٢٦) انظر : المرجع السابق ص٦٢ .

(٢٧) انظر : المرجع السابق ص١٠٥ وما بعدها .

(٢٨) انظر : المرجع السابق ص١٢١ وما بعدها

فحص كيليطو للبنية المقامية لدى ابن ناقيا ، وحين تلقيــه للأخبار التي تتهمه بالزندقة والتعطيل[٢٩].

ويقدم كيليطو عند دراسته لمقامات الحريري مقترحا توصل إليه من خلال تتبع بنية المقامة الحريرية، هو أن الحريري كتب واحدة وخمسين مقامة لا خمسين، وهو ينطلق في هذه الفرضية من أن الوعظ يحضر كل عشر مقامات ، فهو ظاهر في : الأولى ، والحادية عشرة ، والحادية والعشرين ، والحادية والثلاثين ، والحادية والأربعين، والحادية الخمسين، وهذه الأخيرة هي الجزء الثاني من المقامة الخمسين، بيد أنهالم تحمل عنوانا رغم اشتمالها على البنية المقامية كاملة[٣٠] .

لكنى مع هذا الثناء الذي يبدو أنه قد جاوز المقدار أسجل تحفظي على عنوانه الأساسي الذي انتقاه ليصدر به دراسته - (المقامات: السرد والأنساق الثقافية)- فهو يوهم بأن المعالجة ستكون للمقامات قاطبة على اختلاف أزمنتها، وتنوع مناطق كتّابها بين مصر والشام والعراق والجزيرة والمغرب والأندلس ، وما يشي به هذا العنوان يُلزم الدارس بتحقيقه ما دام أنه رضي بأن يكون على غلاف كتابه ، وهذا ما لم يحدث ، فالعمل لا يعدو دراسة نتاج الهمذاني وابن شرف القيراوني وابن بُطلان ، وابن ناقيا والحريري فحسب .

ولو أحكم العنوان بتقيده بالقرن الرابع والخامس الهجريين لكان متوافقا مع صرامة المنهج التي يجنح إليها عند تعامله مع النصوص .

بالإضافة إلى أني غير مطمئن لبعض النتائج التي توصل إليها رغم صداقته الحميمة لفن المقامة ، فهو يقرر بعد طول الصحبة أن البنية السردية المميزة للجنس المقامي تكمن في كونه يقوم على عنصر التعُّرف[٣١] ، والحق أن هذه النتيجة غير صحيحة ، أو على الأقل هي محل نظر – على حد تعبير الأسلاف - فهناك مقامات كثيرة لبديع الزمان ومن جاء بعده لا

---

(٢٩) انظر : المرجع السابق ص١٣١ وما بعدها .

(٣٠) انظر : المرجع السابق ص١٩٧ وما بعدها .

(٣١) انظر : المرجع السابق ص١٠٢ .

تعرُّف فيها ، بل قد لا تحوي حكاية أصلا[٣٢] ، ولم يستطع كيليطو حتى على الرغم من الجهد الذي بذله عند الحديث عن المقامة الوحشية أن يقنعنا بوجهة نظره[٣٣] .

٣- دراسة فدوى مالطي دوجلاس :

في سنة ١٩٨٥م صدر كتاب (بناء النص التراثي) ، وهو مجموعة بحوث، تتضمن دراسات لنتاج عدد من المؤلفين العرب في العصور الوسيطة ، هم: الجاحظ ، والخطيب البغدادي ، وبديع الزمان ، والصفدي ، وابن العماد الحنبلي .

وتسعى الدراسة لتحقيق هدفين أبانت عنهما الباحثة في مقدمتها ، تقول : " ومع ذلك فإن هذه الدراسات تروي الحكاية نفسها بطرق تختلف من الناحية الشكلية ، هذه الحكاية تأتي من منطلق رد على مذاهب المستشرقين الذي زعموا أن أعمال هؤلاء المؤلفين لا تخضع لنظام محدد ، أو حافلة بالتكرار ، أو تفتقر إلى الفنية بشكل عام ، أما البحث فكان بحثا لمبادئ النظام ، والقوانين ، والأساليب الفنية التي استخدمها هؤلاء المؤلفون في خلق أعمالهم "[٣٤] .

وتفصح عن منهجها النقدي الذي تتبناه في مطلع دراستها فتقول : " كما هو واضح من عنوان الكتاب فإن المنهج النقدي الغالب عليه هو البنيوية "[٣٥] ، لكنها رغم حداثة المنهج في تلك الفترة لا تسهب في معالجة المسائل المرتبطة به ، بل تسعى في كل من الدراسات التي بين يدي القارئ إلى أن تفسر الأساليب النقدية المعينة المستخدمة فيها[٣٦].

---

(٣٢) انظر : المقامات المشرقية (٥٥٠ – ١٢٠٠هـ) ، خالد الجديع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ ، ص٢٣ .

(٣٣) انظر : المقامات : السرد والأنساق الثقافية ص١٠٣ .

(٣٤) بناء النص التراثي ، فدوى مالطي دوجلاس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص٧ .

(٣٥) المرجع السابق ص١١ .

(٣٦) انظر : المرجع السابق ص١١ .

تشعر الباحثة قبل مواجهة النصوص بأنها بتطبيق البنيوية لا تلقى حماسا من المتلقين، لأن المنهج البنيوي لم يعد شيئا يساير العصر ، أو أنه ليس أحدث المدارس النقدية في الأدب ، ولذلك تنشئ مجموعة من الردود على من يقول بذلك[٣٧] .

وإذا جئنا إلى ما يخصنا في هذا العمل النقدي وهو المقامات رأينا الدارسة تصب اهتمامها على دراسة مقامة واحدة لبديع الزمان الهمذاني هي المقامة المضيرية ، منطلقة من أن " المقامات هي أوضح الأنواع وأكثرها تحديدا وتميزا بين كافة أنواع الكتابة النثرية في العصر الوسيط "[٣٨] .

وأرى أن هذا الحكم الذي أصدرته على المقامة يفتقر إلى الاستقراء والتثبت ، فهذا الفن قد استحال في العصور الوسيطة إلى جنس أكول تمكن من هضم كثير من الأجناس الأدبية ، فقد ضم الرسالة والخطبة والسيرة الذاتية وأدب الرحلات ، بحيث أضحى من العسير حتى على المختصين التمييز بين العمل المقامي وغيره[٣٩] .

وعند بداية تحليلها للمقامة قامت بمعالجة مستويات النص ، ثم قدمت ترتيبا ظاهريا لأحداثه في محاولة لتنظيم التفحص ، خلصت من خلاله إلى مجموعة من النتائج المقنعة[٤٠] .

وفي سياق المغايرة كشفت الباحثة عن أن المقامة المضيرية تقدم بنية مختلفة عن بقية مقامات البديع ، تكمن في كون أبي الفتح الإسكندي يقع ضحية للتاجر، في حين يقدمه الهمذاني في سائر مقاماته بطلا يقع غيره ضحية له[٤١] .

---

(٣٧) انظر : المرجع السابق ص١٤ .

(٣٨) المرجع السابق ص٩٥ .

(٣٩) انظر : المقامات المشرقية ص٤٢٥ . وانظر فيما يتعلق بتداخل الرسالة والمقامة بعد الحريري وصعوبة التفريق بينهما كتاب مقامات ورسائل أندلسية : نصوص ودراسات ، فرناندو دي لاجرانخا ، ترجمها وقدم لها عبد اللطيف عبد الحليم ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الفجر الجديد ، ١٩٩٣م ، ص٢٠ .

(٤٠) انظر : بناء النص التراثي ص١٠٨ .

(٤١) انظر : المرجع السابق ص١١٢ .

وتزيد من تعميقها لهذه اللفتة ذاكرة أن أبا الفتح الإسكندي يقع ضحية غيره خمس مرات ، تمثلت الأولى في جري التاجر خلفه وكأنه مجرم ، والثانية في ملاحقة الأطفال إياه ؛ لظنهم أن المضيرة لقب له ، والثالثة في ضربه خطأ أحد المارين بحجر ، والرابعة في تلقيه الضرب من الذين اجتمعوا حوله ، والخامسة في وضعه في الحبس نتيجة فعلته[٤٢] .

وأحسب أن هذا التنشيط التأويلي الجيد كان يجب أن يستمر من قبل الباحثة ، إذ إن أبا الفتح وقع – في هذه المقامة - ضحية في أمور أكثر مما كشفت ، فقد كان فريسة لثرثرة التاجر التي أقلقته ، وأحرقت صبره ، بالإضافة إلى أنه حرم من طعامه ، بل حرم – نتيجة لذلك – من تناول المضيرة التي قدمت إليه مع عيسى بن هشام في أول المقامة .

واعتمادا على الترابط الثنائي المعروف في الأدب الروائي قدمت الباحثة – بعد تمعن وسبر - سلسلة من المفارقات التي تحفل بها المقامة ، لتقرر – بعد ذلك - أنه : " ليس مجرد الطعام فقط هو الذي يشكل بؤرة الترابطات الثنائية ، بل هو طبق خاص بعينة، هو المضيرة، التي وجودها يلقي بظله على المقامة بأكملها "[٤٣]، وتختم في النهاية بحثها بنتيجة مؤداها أن المقامة المضيرية تكمل الصورة التي رسمتها " لشخصية البطل المخاتل أبي الفتح، فهي تعطيه بجانب مهاراته اللفظية صفة التعلق بالطعام ، وهي الصفة التي تنسبه إلى شخصية واحد من السابقين عليه في الأدب العربي إلا وهو الطفيلي " [٤٤] .

وإذا كانت الباحثة قد أعلنت في صدر كتابها عن أن المنهج البنيوي سيكون قائدها في الدراسة فإن القارئ يلحظ تمازجه مع المنهج التأويلي في تعاملها التحليلي ، وهو أمر لم يتم الإعلان عنه ، بالإضافة إلى أن القارئ كان يترقب شيئا من التحليل البنيوي على

---

(٤٢) انظر : المرجع السابق ص١١٨ .

(٤٣) المرجع السابق ص١٢١ .

(٤٤) المرجع السابق ص١٢٢ .

مستوى اللغة ، فالبنية - كما يقرر بارت - تتشعب وتنتشر وتكتشف نفسها[٤٥] ، وهي في كل ذلك تختلف من نص لآخر ، لكن الباحثة قد أغفلت ذلك .

٤- دراسة حمادي صمود :

في كتاب (الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة) الصادر عام ١٩٨٨م يسعى هذا الناقد إلى الجمع بين نصوص قد لا تتبين الصلة بينها لأول وهلة ؛ لانتمائها إلى أعصر مختلفة وبيئات متباينة " أولها نص من التراث من القرن الرابع هجريا ، وآخرها نص من أحدث ما وصلت إليه البحوث الإنشائية في بعض جامعات الولايا المتحدة المرموقة "[٤٦].

ولا يرى صمود - رغم بعد الشقة بين العملين - فرقا كبيرا يفرض التنافر المؤدي إلى الفصل، فليس " الاختلاف بينهما إلا اختلافا في الظاهر ، فهي في ذهن كاتبها مؤتلفة متلازمة تلازم والوجه والقفا على حد عبارة جارية يؤكد بها علماء اللسان على الترابط القائم بين وجهي العلامة : الدال والمدول "[٤٧] .

يدلف صمود بعد ذلك إلى المقامة ليقرر أنه على كثرة ما ألف فيها من دراسات ، ورغم الانتباه المبكر إلى أهمية شكلها نكاد لا نقف على خصائص إلا على ما لا يتجاوز أغراضها ، وعلى ما لا يدرس من شكلها إلا الظاهر الغالب[٤٨] ؛ ولذا يختار المقامة المضيرية لبديع الزمان ليتبين خصائص الجملة الأدبية فيها ، وهو يستعير هذا المفهوم من مايكل ريفاتار الذي تبنى هذا المنهج في كتابه إنتاج النص[٤٩].

---

(٤٥) انظر : مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة منذر العياشي ، الطبعة الثانية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، ٢٠٠٢م ، ص٩٠ .

(٤٦) والوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة ، حمادي صمود ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨م ، ص٥ .

(٤٧) المرجع السابق ص٥ .

(٤٨) انظر : المرجع السابق ص١٩ .

(٤٩) انظر : المرجع السابق ص٢٠ .

وقبل أن يشرع في المعالجة والتحليل يشير إلى أن مقامات الهمذاني تدور على مبدأين رئيسين متدافعين في الظاهر ، هما مبدأ التواتر أو العودة ومبدأ الحركة والتحول ، ويسير مع القارئ باستفاضة ليفحص هذين المفهومين [٥٠] .

وإذا كان العنوان يحمل دلالة لا ينبغي صرف البصر عنها فإن حمادي صمود يدعو منذ البداية إلى التفكير في أمرين :

- علاقة النص بالكدية والسؤال من جهة أن الطعام إيحاء بالحاجة والجوع .
- علاقة المقامة جملة بأدب المآدب ؛ ليتسنى بعد ذلك ربطها بنصوص أخرى[٥١] .

وإذا كنا قد أخذنا على الدراسة السالفة تغاضيها عن البعد اللغوي في التحليل فإن هذه الدراسة تتخذ من هذه الزاوية منطلقا لها فتكشف – على سبيل المثال – عن دلائل استعمال الضمير في مطلع المقامة ، وعن انسجام جملة الظرف مع مضمون الوصف في تركيب وصف الخوان ، وعن تمام التقابل والانقطاع بين والوصف وجملة جواب الظرف في شتيمة أبي الفتح للمضيرة[٥٢] .

ويستمر صمود في هذا النهج مستثمرا بعض العبارات الواردة في النص لخدمة المسار النقدي الذي يدرج فيه ، وهو في ذلك لا يتمحل التأويل ، بل تأتي تلك التأويلات قريبة من المنطقية ومتساوقة مع المفردات النقدية التي يحررها .

ومهما كان حرص هذا الناقد شديدا على الإمساك بالمنهجية فإن التأويل بوصفه سائلا زئبقيا لا بد أن يتسرب من بين تلك السياجات المحكمة ، فيستعصي بذلك على الضبط والسيطرة ، وحتى لا نقع في مجانية النقد فإني أدعو القارئ إلى تفحص هذه الفقرة التي يقول صمود فيها : " لاحظ تداخل ثلاثة محاور في هذا السياق السردي : **الحضارة – الترف**

---

(٥٠) انظر : المرجع السابق ص٢٨ .

(٥١) انظر : المرجع السابق ص٥٥ .

(٥٢) انظر : المرجع السابق ص٥٦ .

والميوعة ... – السياسة . والمحوران الأولان مترابطان بينهما ، ولا نرى علاقة بينهما وبين الزج بقضية مهمة كقضيـــة الخلافة في مثل هذا السياق ، وهكذا ينغمس النص في غير المنتظر "[٥٣] .

يرى صمود أن مجيء عبارة " تشهد لمعاوية بالإمامة " في قول بديع الزمان : " فقدمت إلينا مضيرة ، تثني على الحضارة ، وتترجرج في الغضارة ، وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة "[٥٤] مقحم في الموضوع الذي يدور حول المضيرة ، إذ ما علاقة خلافة معاوية بمضيرة عيسى بن هشام ؟ وأحسب أن صلة التركيب (وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة) بموضوع الطعام قوية جدا ، فليس في النص انتقال ، وليس الأمر خروجا إلى السياسة ، فالعبارة لا تقرر أحقية معاوية بالخلافة على المسلمين ، كما أوهمت حمادي صمود بذلك ، بل هي في صميم الموضوع تستدعي من له صلة بموضوع الطعام ، ولذا استدعت معاوية الذي يضرب به المثل في الأكل ، فقد جاء في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعاه ثلاث مرات فكان يُرَد عليه بأنه يأكل ، فقال فيه: "لا أشبع الله بطنه"[٥٥] . العلاقة إذن أليفة ووطيدة بين هذه العبارة وموضوع المقامة .

---

(٥٣) المرجع السابق ص٥٧ .

(٥٤) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، د.ت،ص١٢١

(٥٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ٣٣٨/١ . وسير أعلام النبلاء ، شمـــس الدين الذهبي ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، مؤســـسة الرســـالة ، بـــيروت ، ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م ، ١٢٣/٣.

٥- دراسة توفيق بكار :

تمتد العناية بالمقامة المضيرية إلى توفيق بكار الذي يكتب بحثا ينشره عام ١٩٩١م ، بعنوان (جدلية الأدب والذهب في المقامة المضيرية)[٥٦] ، وبعد أن يثبت نص المقامة كاملا يقف عند العنوان ليحدد تركيبه المكون من منعوت وناعت " أحدهما يدل على ماهية الخطاب والآخر على مادة الخبر "[٥٧] . وكما كان السلاح المستعمل في تحليل هذه المقامة عند فدوى مالطي وحمادي صمود هو المنهج البنيوي ، فإن توفيق بكار أيضا لا يحيد عنه في معالجته ؛ مما أفقد العمل كثيرا من روائه وبريقه للوهلة الأولى .

يتبدد هذا الوهم عند قراءة الدراسة التي تستفز بنية المقامة لتكشف عن جملة من الثنائيات التأسيسية تتمثل في : ثنائية الأشخاص ، وثنائية الأحداث ، وثنائية التركيب ، وثنائية الأسلوب ، وثنائية الوصف ، وثنائية الروح[٥٨] .

وبعد أن يحاور هذه الثنائيات يقرر أن المقامة المضيرية " تختلف عن النموذج السائد في مقامات الهمذاني ، فلا كدية فيها ولا احتيال ولا حتى تطفل ، ولا تنكر ولا تعجب ولا تعرف ، فهي نسيج وحده في صيغة بنائها وطبيعة أحداثها وصورة بطلها ، ولا بد من للتحليل من الحرص على خصوصيتها الذاتية داخل النمط العام حتى تبرز طرافتها بروزا "[٥٩] .

يقسم بعد ذلك بكار بنية المقامة الشكلية قسمين ، هما : الخطاب والخبر ، وعند حديثه عن الخطاب يفرد عنوانات للرواة في المقامة ، وللإيقاع الوزني ، وللإيقاع الحكائي،

---

(٥٦) انظر : مجلة الحياة الثقافية ، تونس ، العدد ٦١ ، ١٩٩١م ، ص٤ ، وأعاد بكار نشر هذه الدراسة في كتاب : قصصيات عربية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ٢٠٠١م ، ص٩١. وستكون الإحالات على الكتاب لأنه يضم الدراسة كاملة في حين اقتصر النشر في المجلة على شطرها الأول .

(٥٧) قصصيات عربية ص٩٥ .

(٥٨) انظر : قصصيات عربية ص٩٧ .

(٥٩) المرجع السابق ص٩٨ .

أما الخبر فيكشف فيه عن أن المقامة " قصة أنجبت قصصا تسلسلت وقائعها حسب منطق سببي مضبوط ، وعلى نظام الأحداث يقوم جهاز المعاني ، وفي المعاني يكشف الكاتب عن علله وأغراضه ، وهو نظام ثان يشده منطق الفكرة "[٦٠] .

يشرع عقب هذه العبارة في مقاربة القصص الأربع التي أنتجتها المقامة المضيرية من خلال تحليل مستويي الأحداث والأشخاص ، ولا تخلو مقاربته من تأويل يشعر بكار أن القارئ لا يستسيغه ؛ ولذلك يقول - في نبرة حادة - : " وقد يقال إنما هذا تأويل ، فأنصتوا إلى صوت الحقيقة يخرق غشاء الخيال "[٦١] .

وإذا كانت بعض تحليلات توفيق بكار اعتمدت في تأويلها على صوت الحقيقة فعلا ، فصار لها من اسم الناقد نصيب ، فإن بعضها الآخر كان بمعزل عن التوفيق ، تأمل قوله : " قال أبو الفتح في خاتمة القصة : فهل أنا في ذا يا آل همذان ظالم ؟ . ما دخل آل همذان في هذه المأدبة ؟ فإنما صاحبها من البصرة ، ولا يعرف لعيسى وطن من الأوطان ، فالمتكلم على لسان البطل صاحبه الهمذاني "[٦٢] .

إن الارتباك في قراءة (هَمْدان) بجعل الدال ذالا (همذان) هو الذي ورط هذا الناقد في تأويل مغلوط لا يسنده سوى قراءته الخاطئة . وعبارة : فهل أنا في ذا يالهمْدان ظالم؟ شطر بيت تمثل به أبو الفتح ليقول : هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة ما دام هذا هو السبب ، وقد وضح شارح مقامات البديع هذا المعنى[٦٣] .

وربما تدخل السياق ليفسد التأويل عند بكار ، فهو يقول : " فاسترده الهمذاني ليختم الخطاب بكلمة وجيزة مثلما فتحه : (قديما جنت المضيرة ...) من آخر الرواة ينطلق

---

(٦٠) المرجع السابق ص١٠٨ .

(٦١) المرجع السابق ص١١٩ .

(٦٢) المرجع السابق ص١١٩ .

(٦٣) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، محمد محيي الدين عبدالحميد ، ص١٤٣ .

الخطاب وإليه ينتهي بعد أن طاف في ذهابه وإيابه بالرواة الآخرين ، فإذا هو يتشكل في شكل دائرة محكمة تنغلق على دائرة تنغلق على دائرة "[٦٤].

إن هذا التأويل عميق ورائع في آن واحد لو كان الذي يقول : " وقديما جنت المضيرة ..." هو الهمذاني – كما يذكر بكار – لكن تأمل السياق المقامي يؤكد على أن العبارة من كلام عيسى بن هشام وصحبه ، استمع إليه يقول : " قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا نذره ، وقلنا : قديما جنت المضيرة على الأحرار ، وقدمت الأراذل على الأخيار " [٦٥]، وبذلك يتلاشى جمال التأويل الذي جنح إليه بكار.

٦- دراسة عبدالله إبراهيم :

في عام ١٩٩١م أصدر هذا الناقد كتابه (السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) ، والكتاب كما يبدو من عنوانه لا يختص بدراسة فن المقامة ، بل يعالج إلى جانب ذلك جنسين سرديين آخرين ، هما الحكاية الخرافية والسيرة الشعبية ، وهو معني في هذه الأجناس بالمهاد التشكلي لتلك الأنواع ، بالإضافة إلى مقاربة بناها السردية من منظور يراعي الخصوصية ، ويوظف المنجز السردي في النقد الحديث .

ويسعى الكتاب لتقديم رؤية متكاملة عن الجنس المقامي ، فالباحث لم يقصر دراسته على مقامة خاصة أو كاتب بعينة ، بل استدعى كثيرا من المقاميين على امتداد حقبهم ليسائل نصوصهم حول نظريته التي يروم تقديمها .

وهو يحاول من خلال مقاربته مع الأعمال المقامية أن يرصد التطور الذي حل بالبنية السردية منذ بزوغ شمس المقامة حتى عصرنا الحاضر ، في رؤية تاريخية تتبع النهر من

---

(٦٤) قصصيات عربية ص١٠٢ .

(٦٥) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص١٤٣.

منبعه إلى مصبه وتراقب الروافد الأخرى التي غذت الفن المقامي سواء إبان تشكله أو بعد استوائه .

ولا يتبنى هذا البحث نظرية بعينها ويسعى إلى تجربتها على المنتج الحكائي، وإنما يتم فيه إخضاع تلك الإبداعات إلى فحص نقدي عميق " يستخرج سماتها الأسلوبية والبنائية والدلالية "[٦٦] .

فعند معالجته لتشكل النوع القصصي في المقامة مهد لذلك بفحص الجذر اللغوي لها مبينا التغير الذي لحقه ، ثم انطلق لكشف الملابسات التي واكبت الولادة من خلال تأمل تضاريس العصر القصصي الذي انبثقت منه .

في خطوة لاحقة تأمل إشكالية الريادة الإبداعية مناقشا ومحللا الآراء التي أفاضت في ذلك ، وعلى رأسها رأي زكي مبارك ثم خلص إلى أن " المضاهاة بين الأحاديث والمقامات لا تدلل على ما ذهب إليه زكي مبارك ، من أن ابن دريد هو مبتكر فن المقامة، وأن البديع قد جاراه في ذلك ، إنما تقرر أن كلا منهما كان يعمل في حقل من حقول التعبير يختلف عن الآخر "[٦٧] .

تلا ذلك حديث عن ثبات البنية التقليدية ومحاولات التقويض التي تعرض لها الجنس المقامي ، وفي هذا السياق استدعى عبدالله إبراهيم كلا من ابن ناقيا والزمخشري وابن الجوزي وابن الوردي والسيوطي بوصفهم منتجين للمقامة المقوِّضة[٦٨] .

وأحسب أن عبدالله إبراهيم لم يكن دقيقا في بعض الأحكام التي أصدرها على هؤلاء المقاميين والتي اعتمد فيها من خلال توثيق علمي على دراسة يوسف نور عوض (فن المقامات بين المشرق والمغرب) تلك الدراسة التي أنجزت في وقت مبكر ،كان فيه نتاج بعض أولئك لا يزال مخطوطا ، فهو يرى - اعتمادا على يوسف نور عوض - أن

---

(٦٦) السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، عبد الله إبراهيم ، ص٥.

(٦٧) المرجع السابق ص٢٠٧.

(٦٨) انظر : المرجع السابق ص٢١٠.

السيوطي " أحال مقاماته على نمط من المناظرات دونما عناية ببطل أو راو ، وإنما جعل نفسه محورا لمناجاة ذاتية "[٦٩] .

والحق أن هذا لا يصدق إلا على طائفة يسيرة من مقامات السيوطي الذي زاوج بين الشكلين، وسمى له راوية وبطلا في أربع من مقاماته هي(الأسيوطية) و(المكية) و(المصرية) و (الجيزية)[٧٠] .

أما البنية السردية للمقامة فقد خصها بفصل مستقل فحص فيه بنية الاستهلال السردي وبنية الحكاية القائمة على التعرُّف ونسيج البنية السردية ، بالإضافة إلى مقاربة لدور الراوية في بناء العالم الفني في المقامة[٧١] .

وأخيرا فإن من الإنصاف القول بأن هذه الدراسة كانت مغامرة جادة غيرت مسار البحث النمطي في المقامة ، ولم يجانب عبدالله إبراهيم الصواب أو يبالغ عندما وصف بحثه بأنه راعى " استنطاق الأصول المعرفية استنطاقا يبتعد عن التقويل ويترك لها أن تكشف عما تغيبه دونما تعسف ، سوى توفير الظروف المنهجية التي تسهل بوساطة القراءة عملية كشف المقاصد والمرامي التي تنطوي عليها تلك الأصول "[٧٢] .

٧- دراسة عبدالله الغذامي :

تغيت هذه الدراسة المنشورة عام ١٩٩٤م مقاربة الجنس المقامي عبر رائده بديع الزمان الهمذاني ، إذ انتقت (المقامة البشرية) لتحاورها في بحث يحمل اسم (القمر الأسود أو النص القاتل) .

---

(٦٩) المرجع السابق ص٢١٢.

(٧٠) انظر : المقامات المشرقية (٥٥٠ – ١٢٠٠هـ) ، خالد الجديع ، ص٤٤٠.

(٧١) انظر : السردية العربية ص٢١٧.

(٧٢) المرجع السابق ص١٣.

ويكشف التحليل منذ مفتتحه عن السر الذي دفع هذا الناقد لاختيار هذه المقامة ، فهي عنده " مقامة فريدة ومثيرة ، فيها خصائص تميزها عن سواها من المقامات ، مثلما أنها تنطوي على أسئلة هامة تهم الباحث في نظرية الإبداع ، وفي التداخل النصوصي ، وتكشف عن وجوه مثيرة من وجوه المشاكلة والاختلاف "[٧٣] .

يحاول الغذامي أن يستمع إلى صوت النص ، فيقرر – بداية - أن الوظيفة السردية تحتل المقامة وتطغى عليها ، وفي مقابل ذلك يتراجع الإيقاع ، وأن الاتكاء على الأحدوثة والتركيز عليها كان نتيجة تعويضية لفقد عنصر البطل فيها[٧٤] .

وللبعد التأويلي حضور ضاغط في دراسة هذا الناقد ، فهو يحاول تنشيط التراكيب وملء بياض النص من خلال التركيز على دلالة الفعل الناقص الذي صدرت به المقامة (كان بشر بن عوانة صعلوكا) ناقلا الحركات الإعرابية النحوية إلى أفعال دلالية مصيرية يسقطها على بشر[٧٥] .

ويحرض الفعل الغائب - الذي أعقب الجملة الفاتحة - هذا الناقد على مزيد من التأويل والتساؤل يصل بعده إلى أن " هناك فضاءات دلالية يضمرها النص ، حيث ترك لها فراغا داخليا تتحرك فيه وتتوالد في ظله "[٧٦] .

يواصل - بعد ذلك تأويلاته - منطلقا مما أسماه خيانة النص ، وهو عنوان أومأ من خلاله إلى أن القصيدة بحضورها داخل بنية المقامة قد أبطلت مفعول هذه الأخيرة ،

---

(٧٣) المشاكلة والاختلاف : قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف ، عبدالله الغـــذامي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م ، ص١٤٧.

(٧٤) انظر : المرجع السابق ص١٥٤ .

(٧٥) انظر : المرجع السابق ص١٥٥

(٧٦) المرجع السابق ص١٥٩ .

وصارت هي الأمضى والأفتك والأبلغ ، بل استحالت إلى بطل يمثل الصوت الفاعل والمنجز[٧٧] .

وبهذا المستوى التأويلي الذي يلوي من خلاله أعناق النصوص ليا إيجابيا يعالج بقية عنوانات البحث التي من أهمها :

- المرأة النصوصية .
- الحية تلد الحية / النص يلد النص .
- الثوب والجسد / الرحم والجنين .
- النص الأمرد والأب المنسوخ .
- الحرية الناقصة .
- أسطورية المقامة / أوديب منقحا .

وهو في هذا العنوان الأخير يستدعي أسطورة أوديب لتحضر مكملة الأبعاد التأويلية التي جنح إليها ، وقد جاء هذا المبحث منطقيا ومتساوقا مع مسار المقامة ، وذلك للعلاقة الوطيدة بين قصة قتل أوديب لأبيه وقصة مقاتلة الأمرد لوالده بشر . ولا يستطيع القارئ لسطور هذا الاكتشاف إلا أن يشيد بقدرة هذا الناقد على فضح التعالق النصوصي بين الآثار الأدبية .

وبرغم ذلك فإن القارئ يشعر بأن الغذامي قد وقع تحت سطوة الانحياز لموضوعه في أكثر من موطن ، فهو يعلي - في مبالغة واضحة - قصيدة بشر في وصف الأسد التي حوتها المقامة ، ويخفض - في تحامل بين — من شأن قصيدة البحتري التي وصف فيها الأسد ، ومن عباراته الحادة في ذلك قوله : " هنا نقول إن نص بشر قد نسخ نص البحتري ، حيث كشف عن ثغراته ففضحها من جهة وتجنبها من جهة أخرى "[٧٨] ، وأحسب أن المتأمل

---

(٧٧) انظر : المرجع السابق ص١٥٩ .

(٧٨) المشاكلة والاختلاف ص١٧٧.

لقصيدة البحتري يدرك أنها لا تقل عن قصيدة بشر في مواد التشكل ولا في روافد البنية ولا في آفاق التأويل .

ومن دلائل هذا الانحياز احتفاؤه بجناسات الهمذاني التي يبدو فيها التكلف، فهو يستثمر كلمتي (الحِصان والحَصان) في أكثر من موضع[٧٩] ، بل إنه يوظفهما في خاتمة بحثه التأويلي في حركة لا تقل عن بهلوانيات الهمذاني ، يقول : " ولذا فإن المقامة تقوم على هدف دلالي نبيل تتحطم فيه السلطة والتسلط وينتصر في التقدم والتطور ، ولكنه يظل محتفظا بالأب بما إنه ماض وبما إنه سلطة، ويفلح في جعل هذا الماضي وهذه السلطة تتنازل لمصلحة الحاضر وتعطيه الحصان والحصان (بكسر الحاء وفتحها) ، وتكون حركة الإملاء هنا ذات دلالة مجازية ونصوصية ، فالكسر يعني انكسار السلطة ، ويكون الفتح لهذا الآتي بوجه أمرد لم يتغضن بعد . إنه الزمن الجديد ينبثق عن القديم من دون قتل ومن دون إثم"[٨٠] .

وهكذا يقفل البحث بالحِصان والحَصان ليتشكل منهما مقص يقرض من خلاله الغذامي مستويات التأويل في بنية المقامة .

ولتدرك مدى الانحياز تأمل أقوال هذا الناقد بعد أن خلع معطف الأجواء المقامية ، وارتدى بزة النقد الثقافي ، حيث استحالت عنده مقامات البديع كافة إلى نسق ثقافي متعفن ، ليس فيه سوى الكدية والأسجاع الثقيلة ، يقول : " وتأتي القمة النسقية مع المقامة ، وهي أبرز وأخطر ما قدمته الثقافة العربية كعلامة صارخة على فعل النسق ، حيث تتجاور العيوب النسقية وتتكثف في نص واحد، فالبلاغة اللفظية المتنازلة عن أية قيمة منطقية ، وغير

---

(٧٩) انظر : المرجع السابق ص١٦٢ ، ١٧٠.

(٨٠) المرجع السابق ص١٨٢ .

المعنية بسؤال العقل والفكر، مع حبكة الكذب المتعمد من أجل التسول الذي أصبح مهنة أدبية تكتسب قبولا ثقافيا "[٨١] .

٨- دراسة ناصر الموافي :

وهي رسالة علمية صدرت عام ١٩٩٥م ، عالج فيها الباحث السرد القصصي في القرن الرابع الهجري من خلال مقاربة سردية لخمسة أعمال قصصية هي :

١- حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الأزدي .

٢- رسالة الحيوان لإخوان الصفا .

٣- رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي .

٤- مقامات بديع الزمان الهمذاني .

٥- كتاب المكافأة وحسن العقبى ، لابن الداية[٨٢] .

وقد توقفت الدراسة عند عنصرين لهما أهمية كبرى في التشكيل السردي هما الراوي بوصفه الأداة الفاعلة التي تقدم العالم القصصي ، وزمان السرد الذي كشف العلاقة بين زمن الأحداث وزمن النص[٨٣].

في البحث المقامي فحص هذا الناقد بصبر وأناة شخصية الراوي في مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ليصل إلى أنه أضحى " وسيلة فنية مستقلة لها سماتها الخاصة التي لا تحيل

---

(٨١) النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبدالله الغذامي ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م ، ص١١٠ .

(٨٢) انظر : القصة العربية عصر الإبداع : دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري ، ناصر الموافي ، الطبعة الثالثة ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص٩ .

(٨٣) انظر : المرجع السابق ص١٤ .

على المؤلف ، بل تصنع مسافة - كبيرة أو صغيرة – بينها وبينه "[٨٤] ، وهو بذلك يؤكد على أن الشخصية غدت وهمية لا يصح أن نسقط أفعالها على الهمذاني .

وبعد أن يقرر هذه النتيجة يحاول رصد المهمات التي يؤديها الراوي ويقسمها إلى وظيفتين داخلية وخارجية ، يتعلق الأمر بالسند في المهمة الخارجية، بينما في المهمة الداخلية ينصب على المتن ، وفي هذه الأخيرة يشترك الراوي في الأحداث ، وربما شارك في البطولة ، أو انفرد بها[٨٥] .

وينفر هذا الناقد من نظرة القداسة للعمل الترثي فالراوي – كما تحيل الدراسة - يخلط وينسى فيرتبك النص نتيجة لذلك من الناحية الفنية ، وقد أبانت المعالجة شيئا من هذا الخلل الذي اعترى بنية المقامة الهمذانية[٨٦] .

وعلى صعيد الزمن السردي لا ينظر هذا الباحث إلى مقامات بديع الزمان على أنها كتلة واحدة ، وإنما على أنها نصوص متعددة يربطها رباط خارجي واه مقحم عليها ، وتفرض هذه الرؤية سطوتها على الباحث فلا يدرس زمن السرد فيها كتلة واحدة ، بل يحاول مقاربة المقامات ذات الحس الزمني المتميز[٨٧] .

وإذا كان هذا الناقد قد تمكن من ضبط زمن السرد بدقة في الأشكال القصصية الطويلة فإنه لم يستطع ممارسة الأمر نفسه مع الأشكال القصيرة ، ويعلل لاستعصاء هذه الأخيرة على الضبط بأنها " لا تعدو أن تكون لقطة مكثفة ومشبعة بالدلالة في آن ، حيث يكون الركيز على لقطة واحدة في حيز زمني قصير ... وطبيعي أن تختفي كثير من تقنيات الحركة المتجاوزة في مقامات اللقطة الواحدة "[٨٨] .

---

(٨٤) المرجع السابق ص١٢٥.

(٨٥) انظر :المرجع السابق ص١٢٦.

(٨٦) انظر :المرجع السابق ص١٣٢.

(٨٧) انظر : المرجع السابق ص١٩٥ .

(٨٨) المرجع السابق ص١٩٦.

وعند دراسة وحدات المقامة يتوسل الباحث ببعض الصيغ الرياضية التي تعينه في عرض نظام الأحداث على نظام النص ، ويصل في الختام إلى مجموعة من النتائج ، أبرزها :

١- أنه كلما زاد الانسجام والتلاحم بين الافتتاحية والمشهد فإن نصيب المقامة من التفوق الفني يزيد .

٢- أن هذا الانسجام يتحقق - غالبا - في المقامات ذات المشهد الحدثي التي يخفف فيها المؤلف من غلواء الكلام المقصود لذاته .

٣- أن معظم المقامات المتفوقة فنيا لا يقع فيها تعرف بين عيسى والإسكندري ، بل يخوضان المغامرة معا منذ البداية .

٤- أن المؤلف حينما يتحرر من الشخصيتين الرئيستين أو واحدة منهما فإنه يبدع إبداعا حقيقيا .

٥- أن المقامات ذات البنية المشهدية الحوارية التي تكون غالبا من طرف واحد هي المقامات التي يحدث فيها التعرف بصيغته التقليدية عند المؤلف .

٦- أن المشهد لا يكون خالصا للحدث أو الحوار ، بل إن شيئا من السكون السردي الوصفي أو التجاوز بأنواعه قد يتخلله .

٧- أن المقامات ذات اللقطة الواحدة تحقق اقترابا حميما من فن القصة القصيرة[٨٩] .

وإذا كان من المقبول علميا أن توجه أشعة الضوء البحثي نحو مناطق متفرقة فإن من الأفضل أن ينحصر التبئير في منطقة بعينها ، أقول ذلك لأن قارئ هذه الدراسة يحس أن تلك الحكايات على الرغم من انتمائها إلى حقبة معينة هي القرن الرابع ، لكنها على الصعيد الجنسي تحمل غير قليل من التباين ، وهو أمر جعل الباحث يدرس كل عمل منها على حدة مما أدى إلى تفكك بنية الكتاب ، في حين لو كان الجنس واحدا لدخلت المادة المدروسة تحت سيطرة العنوانات بيسر وسهولة .

---

(٨٩) انظر : المرجع السابق ص٢١٠.

ومع ذلك فإن هذه الدراسة تعد بحق - بما طرحته من فرضيات ونتائج - مكسبا للدرس السردي المقامي، ذلك أنها تروم الإفادة من أحدث التقنيات السردية غير غافلة عن طبيعة العمل التراثي الذي يمكن أن يتجاذب مع التقنية أو يتنافر ، بالإضافة إلى أن مفرداتها تحيل على نسبة غير قليلة من الجلد وعدم الاستعجال .

٩- دراسة عبدالملك مرتاض:

لم يكن مرتاض طارئا على فن المقامة عندما نشر دراسته السيميائية عن مقامات السيوطي عام ١٩٩٦م ، فقد كانت له رفقة قديمة مع هذا الفن قبل ربع قرن من هذا التاريخ عندما كتب عمله الشهير (فن المقامات في الأدب العربي) لكن هذا الجهد المقامي العام والفضفاض كان قبل تعرفه على المناهج الحديثة ولا سيما السيميائية منها ، وبأوبته إلى هذا الجنس عادت الألفة مرة أخرى ، ولكنها جاءت - بعد تسلحه النقدي - أكثر حميمية و أعمق معالجة وأدق أحكاما ، ذلك أن عمله القديم يحاول مسح التحركات المقامية دون رغبة في تعمق بنيتها السردية .

ويعزو مرتاض سبب رجوعه إلى المقامات وإلى مقامات السيوطي إلى موعدة وعدها هذا الناقد للجنة التحضيرية لندوة السيوطي المقامة في جامعة مؤتة، وقد تحدد العمل تحت عنوان : (تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية) ، لكن مرتاضا لم يستطع حبس قلمه بعد أن ولى وجهه شطر هذا الموضوع على هذه الزاوية الضيقة ، ذلك أنه أدرك " بأن جمالية الحيز لا يمكن أن تتبلور وتتوهج إلا بتسليط الضياء عليها من أكثر من زاوية "[٩٠].

ومن هنا فقد أفاض في الحديث عن ماهية المقامة ونشأتها ، وشأنها في الأدب العربي ، ثم دخل إلى عالم السيوطي مبينا مكانته بين كتاب المقامة ، بعدها حاول رصد خصائص الكتابة المقامية عند هذا العلم ، ثم توقف طويلا عند ظاهرة الوصف في مقامات

---

(٩٠) مقامات السيوطي : دراسة ، عبدالملك مرتاض ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٦م ، ص٧ .

السيوطي مقاربا إياها عبر مستويات ثلاثة هي : المستوى اللغوي والمستوى التناصي والمستوى الجمالي .

وإذا كنا سنحاسب مرتاضا على العنوان الذي ارتضاه أخيرا ليصدر به دراسته ، وهو (مقامات السيوطي : دراسة) فإن ذلك كان يقتضي منه معالجة النتاج المقامي لهذا الرجل بكافة طرقه وتطوراته ، ومن المعلوم أن السيوطي كتب المقامة التقليدية على طريقة البديع والحريري ثم اختط بعد بذلك مسارا مقاميا مطورا وسع فيه موضوعات المقامة شكلا ومضمونا ، فكان من اللائق أن تتصدى الدراسة لتلك التحولات المقامية كاملة ، ولذلك النتاج برمته ، وهذا ما لم يحدث ؛ ولذا فإن من الأنسب أن يكون عنوان الكتاب (المقامة الياقوتية : دراسة سيميائية) ، وما كان خارج هذا النطاق مما له علاقة بالموضوع فيسحب إلى التمهيد حتى لا تختل منهجية البحث الذي يعد هذا الناقد رائدا من رواده ، لكني أخال أنه تخفف منها ليخدم السيوطي بكل ما يستطيع في حدود الوقت المتاح لإنجاز عمله .

وعندما أزمع مرتاض إخضاع هذه المقامة للتشريح من منطلق سيميائي ، لم يكن اختيارها بعد تأمل لسائر نتاج السيوطي ، بل جاء انتقاؤها من باب " المصادفة التي تضارع الاعتباط "[٩١] ، وتلح عليه الفكرة داخل الكتاب فيقول في شيء من الشعور بالذنب :" أما علتنا في الاختيار فهي وبكل صدق لم تقم على تفكير طويل ، ولو استدبرنا من هذا الأمر ما استقبلنا لكنا آثرنا الحديث عن مقامة أخراة غيرها ، ولكن جرى السعي إليها ، وتقديم العمل حولها ، فلم يكن ممكنا العزوف عنها "[٩٢] ، وهذا اعتراف جريء ونادر في آن من هذا الناقد ، يكشف فيه للقارئ بصدق عما تم من الخطوات السابقة للدراسة .

وحين استقر الأمر على معالجة هاته المقامة ، ولم تكن هناك فرصة للتراجع ارتأى مرتاض أن يتم ذلك من خلال أربعة مستويات . في المستوى الأول انصرف إلى تأمل سيميائية

---

(٩١) المرجع السابق ص٦ .

(٩٢) المرجع السابق ص٣٨.

التشاكل في المقامة الياقوتية ، وقد اقتصر درس هذا المستوى على تحليل ثلاثة نماذج فقط من الوجهة التشاكلية :

أولها – أنموذج من خالص نص المقامة (أي من إنشاء الكاتب نفسه) .

ثانيها – أنموذج من الحديث النبوي الوارد في بعضها .

ثالثها – أنموذج واحد في الشعر المستشهد به فيها[٩٣] .

أما المستوى الثاني فكان عن سيميائية الألوان في المقامة الياقوتية ، وينهض هذا البحث على أربعة محاور هي :

أولا – لماذا الحديث عن الألوان في هذه الدراسة ؟

ثانيا – ما الألوان التي تهيمن على نص هذه المقامة ؟ وما الألوان التي تغيب عنها ؟ ولمه ؟

ثالثا – الألوان الصريحة .

رابعا – الألوان المؤولة[٩٤] .

ولا يحرص مرتاض في هذا المبحث على إتمام مسعاه ، فهو يقتحم الموضوع بمجموعة من الأسئلة ثم إذ أحس أنه تفتق وتفلت ، بحيث صعبت السيطرة عليه كميا توقف عن مواصلة التعميق والتحليل ، وانطلق إلى نقطة ثانية مكتفيا بالاعتذار عن إعادة النظر مرة أخرى فيما يكتب ، يقول : " فإننا وقد بلغ بنا المطاف إلى هذا الحد من الطول الذي لا نريده مسرفا ، وكيما يتلاءم أيضا ما أمكن مع مقدار مستويات التحليل الأخراة فإننا نؤثر التوقف لدى هذا القدر ، تاركين السائر للقراء ممن يودون متابعة هذا السعي إما حذو النعل بالنعل ، وإما الاعتراض والتبكيت ، فكلا الموقفين سيسرنا سرورا "[٩٥] .

---

(٩٣) انظر : المرجع السابق ص٤٥.

(٩٤) انظر : المرجع السابق ص٨٠.

(٩٥) المرجع السابق ص١١٠.

ويختص المستوى الثالث بالنظر في جمالية الحيز في المقامة الياقوتية من خلال ثلاثة أضرب هي : الحيز الثابت والحيز المتحرك والحيز الروحي[٩٦] ، ويعرض مرتاض عند مدارسة أحد الأضرب لعبارات من أصل المقامة مرة ، وتارة يدلف إلى المعالجة من خلال المسقطات النصية ، وأحسب أن مثل ذلك أريك المنهج ، بالإضافة إلى أن المادة الخارجية المنداحة داخل البنية الياقوتية هي ملك أصحابها في الأصل ، وليست من إنتاج السيوطي، وفي عبارات السيوطي ثراء يسمح بالتوحيد ويغني عن تقلبات المنهجية .

ولأهمية الإيقاع فقد استقل بعنوان المستوى الرابع ، وقبل مباشرة البنية الإيقاعية في المقامة الياقوتية اقتطف مرتاض مقاطع لخالد بن صفوان ولطه حسين ولعبد العزيز البشري، ثم عرج على ذكر بعض من الإبداعات النثرية لعبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان وابن العميد وابن بسام وابن الخطيب ومحمد البشير الإبراهيمي ، وتزداد مساحة الاستطراد سعة بالحديث عن تحليله لسورة الرحمن ولقصيدة المقالح أشجان يمانية ، وإخال أن إهاب هذا المبحث بحشو تلك المدخلات قد تورم حتى تفتق ، فقد تمكنت تلك الاستطرادات من الضغط على المقامة حتى تضاءلت فأضحت قلقة داخل ذلك الإهاب .

وفي هذا المستوى تأمل مرتاض الإيقاع الخارجي في المقامة الياقوتية والإيقاعات المتناصة والإيقاع الداخلي ، وقد جاء حرف النون – في المنزلة الأولى، يليه إيقاع الراء ، وبعده الهاء ، ثم الميم ، وهو يحاول بعد رصد تلك الإيقاعات أن يعلل كثافتها في غير قليل من المنطقية والتأني .

وإذا كانت أسجاع النثر كقوافي الشعر فإني لا أتفق مع هذا الناقد في الأمثلة التي ساقها للإيقاعات الهائية فهي تنسب إلى الحرف السابق للهاء ، بالضبط كما في الشعر ، ومن تلك النماذج التي قدمها على أنها مرتبطة بالهاء ، وهي ليست كذلك :

المحدقه – الحدقه – المنخرقه

---

(٩٦) انظر : المرجع السابق ص١١٨.

أسنانه – أعانه – مكانه

واحده – شائده – شاهده

رائحه – جائحه – طافحه[٩٧] .

وأخيرا فلعله بدا أن هذه الدراسة هي الأكثر تعرضا لسهام النقد ، وإذا كان الأمر كذلك فلأنها - بحق - الأكثر إثارة ومغامرة ، ولأنها الأقرب إلى نفس الباحث ، واقتحام الجديد الذي تبنته هذه الدراسة لا بد أن يذهل صاحبه عن التدقيقات المنهجية التي يكلف بها المتخلفون عن الركب أمثالي ، ففضل الرجل لا يجحد فقد كانت له ضربات قلمية مركزة لفت فيها النظر إلى جدوى تطبيق هذا المنهج من جهة وإلى عناصر مقامية استجابت لمثير الطارئ الحديث فأشرقت وتفاعلت من جهة أخرى .

١٠- دراسة محسن جاسم الموسوي :

في كتاب سرديات العصر الإسلامي الوسيط ، الصادر عام ١٩٩٧م تداخل هذا الناقد مع مجموعة من السرود الوسيطة التي اختلفت أجناسها ، حيث توقف عند مفهوم السرد لدى الجاحظ بين النظرية والكتابة ، تلاه بتعميق تناصي عن فعل السرد لدى التوحيدي ، ثم حاول تقديم قراءة جديدة عن غفران أبي العلاء تقوم على تتبع مخاتلات نتاجه السردي .

وللثراء النصوصي الذي تحفل به حكايات الليالي خص الموسوي ألف ليلة وليلة بمبحثين ، كان أحدهما عن فضائها المباشر والمتشابهات ، وجاء الثاني ليقارب مفهوم الحاكي والمحكي فيها .

---

(٩٧) انظر : المرجع السابق ص١٥٧.

أما قراءته المقامية فانبثقت تحت عنوان (مقامات الجوابين : والخروج من جبة الجاحظ) وهو يحيل من البداية على مصطلح التعالق النصي الذي كان وسيلة هذا الناقد لمد الجسور بين العملين .

وإذا كانت السرديات في العصور الوسيطة قد نالت حظا كبيرا من الدرس والعناية مع إعلانات الأخذ بآليات القراءة الغربية على اختلاف مناهجها وعلاماتها فإن هذا الكتاب يقرر منذ سطوره الأولى " أن إقحام هذه في غير مواضعها ، وعدم الإحاطة العميقة بها أو تجاهل ما تتموضع السرديات العربية فيه من أنساق لسانية وأخرى ثقافية واجتماعية ، غالبا من يقود إلى بعثرة في الجهد المبذول واهتزاز في النوايا وارتباك في العلاقة بالمقروء "[٩٨] .

بهذا العزم التمحيصي يدلف الموسوي إلى السرد المقامي موغلا برفق في إحالاته التي يتبدى فيها الجاحظ بوصفه القوة الخفية المحركة للجنس والجذوة المشعلة للتمدد النصوصي ، ولهذا تقترح هذه القراءة للمقامات" لفت الانتباه مجددا إلى مصادرها عند الجاحظ ، مروياته ومشاهداته ومسموعاته ، وكذلك إلى شخوصها الحاضرين في عصره وما تلاه من شعراء متشردين ومكدين وبخلاء ومؤلفين وشطار "[٩٩] .

وهذا نداء لا يلبيه الكاتب ، بل ينهمك مشروع قراءته بالنظر إلى متعة الحيلة وبراعة المكيدة التي يمارسها البطل والتي تتحقق عبر " المفارقة بين التصريح والتلميح ، وبين الظاهر والباطن ... وبين مجالس يتمكن منها وتتمكن منه "[١٠٠] .

وإذا كانت الموهبة هي الوجه الأول للمكدي الجوّاب في عالم المقامة ، فإن التقلب الذي يزوغ عن العلامة الثابتة هو الوجه الآخر لهذا الجوّاب ، فتشكله في صور مختلفة يربك الراوية فيتحير - أحيانا - عند التثبت من سمات المكدي وعلاماته[١٠١] .

---

(٩٨) سرديات العصر الإسلامي الوسيط ، محسن جاسم الموسوي ، ص٩.

(٩٩) المرجع السابق ص١٢٨ .

(١٠٠) المرجع السابق ص١٢٨ .

(١٠١) انظر : المرجع السابق ص١٣٥ .

ويستدعي الموسوي - بالإضافة إلى الجاحظ - حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الأزدي التي رواها أبو حيان التوحيدي ليقرر – بعد فحص العمل - أن الهمذاني والأزدي ينهلان من مصدر مشترك[١٠٢] ، ولا يغيب الجنس المختلف إذ يحضر ابن الجوزي وتاريخه المنتظم - في تكريس لمفهوم النصنصة[١٠٣] - ليمسك ببعض خيوط المقامة .

وبعد استكشاف للفضاء السردي في المقامة الهمذانية يخلص الموسوي إلى أن السرد يتحرك في مجموعة من المدارات تمثلت في الحركة من الهامش إلى المجلس والحركة من الهامش إلى المدن المركزية والحركة من المركز إلى خارجه[١٠٤] .

وبتحليل المقامة المضيرية للبديع والمقامة الحلوانية للحريري يصل هذا الناقد إلى تبيين طبيعة أصداء الهمذاني في الحريري ، تلك الأصداء التي " تقيم في مكونات المقامة ، وشخصيتها المتقلبة مظهرا أو المحتالة في فن الكدية ، والمستهدفة للمجتمع المرفه أو المنعم ، والمستعينة بالمحذورات والتنبيهات والإنذارات ، والجوابة في عالم تتساقط حدوده أمام من لا يمتلك شيئا "[١٠٥] .

ويمكن القول بأن هذه الدراسة أشبه بالنواة لمشروع فكري جديد يتبنى الموسوي أساساته ، ويضع أسئلته وفرضياته في دعوة ضمنية إلى مواصلة المسير لتبني المزيد من المشروعات التي تستحث السردية التراثية لتبوح بمكنوناتها .

---

(١٠٢) انظر : المرجع السابق ص١٣٨ .

(١٠٣) لم يشر الموسوي إلى هذا المصطلح مع أنه مارس تطبيقه، وهو مصطلح أكثر تعقيدا من التناص، وفيه ينضم إلى العمل نصوص وأشباه نصوص فيصير نصنصة ، انظر في مفهومه كتاب المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٩م، ص٣٩ .

(١٠٤) انظر : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ص١٤٠ .

(١٠٥) المرجع السابق ص١٤٩ .

١١- دراسة مصطفى ناصف :

تقصّد هذا العمل محاورة النثر العربي عبر مقاربة تأويلية أُعلِن عنها منذ اللفظة الأولى التي يقول فيها ناصف بأسلوب مباشر " هذا الكتاب في التأويل "[١٠٦] ، لكنه ليس التأويل العاسف للمقروء ، بل هو الذي " مبناه الثقة بالنص ، والإيمان بقدراته ، والاشتغال بكيانه الذاتي ، والغوص المستمر على تداخلات بنيته "[١٠٧].

ويضم هذا النتاج ثلاثة عشر فصلا ، نصيب المقامة منها ثلاثة ، جاء الأول فصلا سادسا تحت عنوان (توتر واسترخاء) ، وفيه اقتطف جزءا من المقامة القريضية للبديع وبدأ يداعبها مداعبة خفيفة ، ملاحظا أن نمط العبارة المسجوعة في هاته المقامة يكاد يجعل التجارة والعمارة مهارة لعوبا لا تخلو من الوثب[١٠٨] .

لا يحاول ناصف في هذا الفصل قيادة قلمه ، بل يترك القلم يتحرك بحرية في عوالم البديع ، وكأن القلم يسرق أفكار ناصف قبل أن تستقر ويثبتها على الورق دون تدخل منه حتى لتجميع المفردات ورصفها ، إنها محاولة لإطلاق الأفكار الأولى منداحة دون رقيب ولا تنظيم ، وهذا ما أوحى به العنوان الذي يروم الاسترخاء التام مع فن المقامة .

وهذا النوع من الكتابة الحديثة التي لا تعارك النص ولا تعتصره ، بل تجسه برفق يغريه ليبوح بمكتومه قد جعلت هذا الفصل أشبه بتحليق شعري لا يروم منه صاحبه سوى الاستمتاع .

يحاول ناصف أن يمر يده برفق وحنان على العبارات المقامية حتى تسيل منها الإيحاءات التي يتركها تواصل سيرها لينطلق إلى غيرها ، وكأنه خازن مفاتيح يجرب فتح

---

(١٠٦) محاورات مع النثر العربي ، مصطفى ناصف، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢١٨ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص٧ .

(١٠٧) المرجع السابق ص٧ .

(١٠٨) انظر : المرجع السابق ص١٨٠ .

الأبواب فإذا انفتح الباب تركه ولم يدخل محاولا فتح غيره ، إنه لا يهادن ليعود ، ولكنه يقفل مودعا .

وأثناء الحديث عن المقامة يدخل على امرئ القيس دون استئذان ، كأحلام الليل التي تتلاشى حدودها وتتماهى مشاهدها في محاولة لإمتاع القارئ وتسليته بعبارة تسير في الماضي عبر الحاضر ، ومن الحديث في خضم القديم ، إنها رحلة الكلمة التائهة .

وفي الفصل السابع الذي يعنونه بـ(رحلة الذات المقهورة) يذكر أن الرحلة في المقامات مباينة للمرتَحَل التراثي القديم الذي كان مرتحلا عظيما ، فالهمذاني – كما يرى – يستخف بمطارح النوى ورحلاته خالية من الدهشة والارتداد إلى الباطن[١٠٩] .

وأحسب أن العكس صحيح ، إذ يصدق هذا على رحلات الشاعر لا المقامي ، تلك الرحلات التي تتكرر عبر أنساق موحدة ، أما رحيل المقامة فهو يغذي الدهشة المقامية بعناصر جديدة بين الحين والآخر .

وتتواثب خطوات هذا الناقد في هذا الفصل القصير ، فهو يتوقف في لفتة تأويلية عند عبارة البديع التي ينقد فيها الجاحظ ويتهمه بأنه ينقاد لعريان الكلام[١١٠]، ثم يستل رسالة التوابع والزوابع ليعقد مقارنة بينها وبين مقامات البديع[١١١] . يعرض بعد ذلك لفكرة الظاهر والباطن كما أوحت بها مقامة ابن بُطلان[١١٢] ، ولا تكاد تدخل أجواء ابن بطلان حتى يلتفت إلى مقامات ابن ناقيا داعيا إلى قراءتها لعنايتها بالخارق الغريب[١١٣] .

---

(١٠٩) انظر : المرجع السابق ص٢٠٢ .

(١١٠) انظر : المرجع السابق ص٢١٤ .

(١١١) انظر : المرجع السابق ص٢١٦ .

(١١٢) انظر : المرجع السابق ص٢١٩ .

(١١٣) انظر : المرجع السابق ص٢٢٠ .

ولا ينسى مصطفى ناصف الحريري ، إذ يعرض لمشكلة التواصل في مقاماته من خلال فن التورية عنده ، ثم يقرر دون محاولة للتدليل قائلا : " لقد صنعت تورية الحريري لتعبر عن مغزى مقامات الهمذاني !"[١١٤] .

ويعقد الفصل الحادي عشر تحت عنوان (قبول واحتجاج) مظهرا منذ فاتحته عدم موافقته الذين يقولون إن المقامات مجرد قصص، بل هي– كما يرى – " بحث عن منهج جديد لا علاقة له بفكرة المجالس ، أيضا المقامات تجعل الكدية نفسها رمزا لما أصاب الحياة والأدب من تغيير ، والكدية ضرب من التفاعل بين ثقافات وأطوار من النثر "[١١٥] .

وبلغة شاعرية يتفحص ناصف وصف الخمر بين الشعراء وبديع الزمان ، وينحي باللائمة على الدارسين الذين لم يتفاعلوا مع البديع فيقول : " هذا هو الفقد البليغ الضاحك الذي يتجاهله الدارسون القساة في عباراتهم الباهتة ، لا أدري كيف تختصر المقامات فيما نسميه تعليم اللغة "[١١٦] .

ويستحسن ناصف ردا على هؤلاء النقدة المقامة السينية للحريري ، تلك الرسالة التي أطل حرف السين عبر كل كلمة من كلماتها ، يقول مدافعا :" لا بد من إيقاف هذا السيل الجارف من الكراهة إن أردنا أن نمحص الرسالة . من الواضح أن حركة السينات تكاد تنقي الكلمات أو تسمو بها عن طريق التنافس "[١١٧] ، ويستمر في محاولة التحسين سالكا مجموعة من التقنيات ، لكنه يشعر في النهاية أن القارئ قد لا يوافقه فيما يقول ، فيغير لهجته قائلا : " يجب أن نذكر هنا أننا لا نحسن القبيح ، من الممكن أن يكون النص رغم هذا التأمل قبيحا ، لكن القبح ربما يكون أقل أو أخف حدة "[١١٨] .

---

(١١٤) المرجع السابق ص٢٢١ .

(١١٥) المرجع السابق ص٢٩٣ .

(١١٦) المرجع السابق ص٢٩٤ .

(١١٧) المرجع السابق ص٣٠٤ .

(١١٨) المرجع السابق ص٣٠٦ .

إذا كان القبح سيبدو في النهاية ، وبعد كل هذه التحليلات ، فلا فرق بعد ذلك أن تتفاوت درجته ما دام قبيحا ، ومن هنا فإن الانحياز لألاعيب الجنس المقامي بدت غير مبررة عند هذا الناقد .

١٢- دراسة عبدالنبي اصطيف :

توجهت دراسة هذا الناقد التي نشرها عام ١٩٩٧م إلى مقامة واحدة من مقامات السيوطي هي (الفارق بين المنصف والسارق) تحت عنوان : (المقامة السيوطية دراسة نصية) ، وكان منطلق الحكم لديه مبنيا على النظرة السيادية للوظيفة الجمالية ، تلك السيادة التي تؤهل النص " لدخول نادي الفنون الجميلة بوصفه واحدا من أبرز أعضائه "[١١٩] .

ويعلل اصطيف قبل مقاربة المقامة سبب توجهه إليها ، المتمثل - بالإضافة إلى المسوغات الجمالية – في كونها تتخذ من الكتابة موضوعا لها ، وتطرح قضية تفاعل النصوص في الإنشاء البحثي في العلوم الإنسانية[١٢٠] .

وإذا كانت الدراسة تعنى بمقامة (الفارق بين المنصف والسارق) فإن الباحث ذكر أنه سيضع في الحسبان مقامتين أخريين تحدث فيهما السيوطي عن قضية السرقات التأليفية هما مقامة (ساحب سيف على صاحب حيف) ومقامة (الكاوي على تاريخ السخاوي)[١٢١] .

وبعد تفكيك بنية مقامة السيوطي التي يخصها بالدراسة يخلص إلى أن النص لا يزيد القارئ اطمئنانا إلى أن السيوطي تعرض للسرقة التأليفية ؛ لأن أدلته عائمة يستطيع أي مؤلف نسبتها إلى نفسه وإنكارها على غيره بالطريقة نفسها التي يتبعها السيوطي . وعلى

---

(١١٩) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، بحث عبدالنبي اصطيف ، المقامة السيوطية : دراسة نصية ، ج٣ ، المجلد الثاني والسبعون ، صفر ١٤١٨هـ - تموز (يوليو) ١٩٩٧م ، ص٤٦٥ .

(١٢٠) انظر : المرجع السابق ص٤٦٦ .

(١٢١) انظر : المرجع السابق ص٤٦٧ .

الصعيد الفني يقرر أن النص لا ينتمي إلى جنس المقامة إلا في ظاهره فقط ؛ لافتقارها إلى عالم التخييل الذي تحيل إليه مقامات البديع والحريري[١٢٢] .

وإذا كنت أوافق هذا الناقد على نتيجته الأولى فإني أخالفه في نتيجته الثانية، إذ بها تسقط كثير من النصوص المقامية التي لا تعتمد التخييل وتبنى على الحقيقة ، وهي نصوص وصلت إلى عالم الحقيقة بعد أن سلكت سبيل التخييل بوصفه الدرجة المقامية البدائية ، وهذا التطور الذي أشير إليه مسلوك لدى السيوطي الذي كتب أول الأمر على الطريقة الحريرية ثم دلف إلى الفضاء المقامي الواسع المشتمل على الحقيقة وعلى التخييل[١٢٣].

١٣- دراسة أيمن بكر :

كتب هذا الباحث رسالة علمية نشرها عام ١٩٩٨م ، عنوانها : (السرد في مقامات الهمذاني) ، يسعى فيها إلى تحليل مقامات بديع الزمان الهمذاني تحليلا سرديا ، تكون فيه مقولات علم السرد Narratology هي أساس التحليل ، " وذلك بهدف رصد العناصر السردية المكونة للنص ، وصولا إلى تحديد خصائص نوع المقامة "[١٢٤] .

وتتكون الدراسة من أربعة فصول . يحدد الباحث في الفصل الأول الجهاز المصطلحي والتقسيم النظري الذي سيقوم عليه التحليل ، والذي يتراوح بين ثلاثة مستويات هي :

١- مستوى الأحداث الغفل .

٢- مستوى القصة .

---

(١٢٢) انظر : المرجع السابق ص٤٦٧ .

(١٢٣) انظر : شرح مقامات جلال الدين السيوطي ، تحقيق سمير الدروبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ٩٦/١ .

(١٢٤) السرد في مقامات الهمذاني ، أيمن بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص٨ .

٣- مستوى النص .[١٢٥]

وفي الفصل الثاني يتعرض البحث لأربعة مكونات أساسية في بناء المقامة السردي هي :

١- التبئير .

٢- الشخصيات .

٣- الزمن .

٤- الفضاء .[١٢٦]

ويناقش الفصل الثالث المكونات التي اكتسبت وجودها من التحقق العيني للنص ، تلك التي تتشكل بها ملامح السرد بوصفه خطابا ، وهذه المكونات هي :

١- الوصف .

٢- الخطاب .

٣- الراوي ومستويات الرواية .

٤- المروي عليه .

٥- المؤلف الضمني .[١٢٧]

ويقدم الفصل الرابع تأويلا لخمس من مقامات الهمذاني هي الأسدية والموصلية والمضيرية والحلوانية والخمرية[١٢٨] .

ويحسب لهذا الناقد تمكنه الواضح من الآليات السردية التي يشرِّح بها النصوص واصطباغ بحثه بالمنهجية إلى حد كبير ، بالإضافة إلى محاولته التعامل مع الفن المقامي بوصفه نوعا سرديا له خصائصه المميزة له .

---

(١٢٥) انظر : المرجع السابق ص١٠ .

(١٢٦) انظر : المرجع السابق ص١٠ .

(١٢٧) انظر : المرجع السابق ص١١ .

(١٢٨) انظر : المرجع السابق ص١١ .

وعندما يحيل التحليل إلى الشعر فإن الباحث يفقد كثيرا من قدراته ، وتخونه تحليلاته ، فهو يظن أن الأبيات التي أنشأها أبو الفتح الإسكندري في المقامة القريضية ، ومطلعها :

أَمَا تَروني أَتَغَشَّى طِمْرا ... ممتطيا في الضُّرِّ أمرا مُرًّا

مُضْطَهَنا على الليالي غِمْرا ... مُلاقيا منها صُرُوفا حُمْرا

أقصى أمانيَّ طلوعُ الشِّعرى ... قَد عُنِينا بالأَماني دَهْرا[١٢٩]

قد ألزم الإسكندري فيها نفسه التصريع ، ويفيض في تأويل ذلك[١٣٠] ، مع أن الأبيات ليس فيها تصريع ، إذ هي من مشطور الرجز . وكل ما بدا فيها على أنه شطر هو في الحقيقة بيت كامل كتب بجانب أخيه .

هذا بالإضافة إلى أن التأويل لدى هذا الباحث يسير - في غالبه - بجانب النصوص ، ولا يحاول أن يغوص في دفائنها ليستخرج ما يعجز القارئ العادي عن استنباطه مع محاولة الإقناع بوجهة النظر - كما رأينا عند كيليطو - .

١٤- دراسة رشيد الإدريسي :

في كتاب (سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة) الصادر عام٢٠٠٠م يدخل هذا الباحث في مقاربة تأويلية مع نصوص الحريري ، معتمدا في منهجه على النموذج التحليلي الذي اقترحه إيكو ، ويعلل سبب ذلك الاعتماد من خلال وصف إيكو بقوله " فهو بدوره لا يتوقف عن التركيز على أن ما يهمه بالدرجة الأولى هو السيرورة الدلالية للنص ، ومن ثم فهو لا يقدم خطاطات جاهزة تمكن القارئ من إنجاز تحليل على غرار تحليلاته شبرا بشبر وذراعا بذراع ، إنه في مجموع مؤلفاته السيميائية لا يقدم لنا نموذجا تخطيطيا لتطبيقه

---

(١٢٩) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، محمد محيي الدين عبدالحميد ، ص١٥ .

(١٣٠) انظر : السرد في مقامات الهمذاني ص١٣٠ .

بحرفه على النص ، بل على العكس من ذلك يقترح علينا كيفية مخاطبة النص ومساءلته وكيفية الامتزاج به لإخراجه من جموده ودفعه إلى إنتاج الدلالات المتوارية "[١٣١] .

ولمزيد من العناية بهذا المنهج يخصه بباب كامل من أصل بابين يعرض فيه ويناقش مفاهيم إيكو السيميائية مركزا على العناصر التي تتصل بهذا الموضوع مثل العلامة والمؤولة والسيرورة الدلالية ، ويخص مكونات الموسوعة وشروط توظيفها بفصل من هذا الباب ، ثم في فصل تال يناقش أثر المحور النصي في توجيه التحيينات ، ويختم بفصل رابع يكشف فيه عن العوالم الممكنة وأهميتها في تحليل النصوص السردية . ولو جعل هذا الباب على أهميته تمهيدا لكان أحكم في المنهج ؛ إذ لم يتعرض فيه للمقامات الحريرية ، بل لم يرد ذكرها فيه أصلا .

أما الباب الثاني فجاء مقسوما إلى فصلين ، في الأول منهما يمارس الإدريسي آليات التأويل على الخطبة التي صدر بها الحريري مقاماته ، ولأنه يشعر أن القارئ قد يعترض على تصديه بالدرس التأويلي لنص غير سردي فإنه يحاول تسويغ ذلك بمجموعة من المبررات التي تحيل على النص مرة وعلى خارجه تارة أخرى ، وأحسب أنه أفلح في حججه التي كشفت عن مسار سردي خفي يعبر المقدمة الحريرية .

ويتساءل في هذا الفصل عن سبب عدم كتابة بديع الزمان الهمذاني مقدمة لمقاماته ولجوء الحريري إلى ذلك ، وللإجابة عن هذا التساؤل يطرح مجموعة من الافتراضات متناسيا أن الحريري أشرف بنفسه على عمله ، وأطلقه للناس في مدونة ناجزة مغلقة ، بل ظل يجيز نسخها حرصا على عدم تحريف عمله ، وهذا ما لم نجده عند البديع الذي كانت مقاماته أمالي ألقاها على طلابه ولم يخرجها بنفسه . إن هذا المنحى التأويلي الذي يبدو فيه المسلك لاحبا قد انزاح عنه رشيد الإدريسي إلى تأويلات لم يتمكن من البرهنة عليها .

---

(١٣١) سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة ، الطبعة الأولى ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص٦

وحتى يتمكن هذا الناقد من تنشيط تراكيب المقدمة لملء بياضات النص بتأويلاته فقد قام بتقطيع خطبة الكتاب ، كما فعل كيليطو مع المقامة الكوفية للحريري .

وتبدو المبالغة التأويلية لدى هذا الكاتب مع مطلع مقدمة الحريري التي يقول فيها : " اللهم أنا نحمدك " ، حيث يفيض في الدلائل التأويلية مع أنها جملة عادية وتركيب مسكوك يسحب ذيوله على كثير من المقدمات قبل الحريري وبعده .

ويتحرك الإدريسي في هذا الفصل تحت سطوة المنهج أثناء تفعيل التراكيب الدلالية لتنضح بالأبعاد التأويلية ، وهذا المنهج الصارم على الرغم من عدم تصالحه من الآفاق التأويلية أحيانا يهبط فجأة أثناء تأدية الإدريسي لإجراءاته الدافعة للتأويل ، فهو يقول مسكونا بمنهجية البحث عند ربط بعض عبارات الحريري بكتاب إحياء علوم الدين : " ولولا مخافة مطالبتنا بالدليل لقلنا : إن الحريري قد اطلع على إحياء علوم الدين "[١٣٢] .

ويشتغل الفصل الثاني على تحليل مقامتين من مقامات الحريري هما المقامة العمانية والمقامة البصرية ، وفيه تبدو قدرات هذا الباحث العالية في التعامل التأويلي مع النصوص ، وهي تأويلات لا تقوّل النص ، وتذهب به في تهويمات قصية ، بل تسندها الحقائق والبراهين التي يجيد الإدريسي توظيفها .

ويمكن أن يلمس القارئ ذلك بوضوح عند قراءة التأويلات الخاصة بالمقامة الحرامية[١٣٣] ، ولدى تنشيطه لكلمة (الأحبار) التي استعملها الحريري في مطلع المقامة العمانية[١٣٤] ، وحين تتبع دلالة حاسة السمع في هاته المقامة[١٣٥] ، وفي مداوراته لأنماط التعرف في المقامة البصرية[١٣٦] .

---

(١٣٢) المرجع السابق ص١٣٠ .

(١٣٣) انظر : المرجع السابق ص٢٠١ .

(١٣٤) انظر : المرجع السابق ص٢٠٦ .

(١٣٥) انظر : المرجع السابق ص٢١٢ .

(١٣٦) انظر : المرجع السابق ص٢١٧ .

وربما أوَّل في هذا الفصل أمرا لم يكن بدعا عند أبي زيد السروجي ، فهو يتساءل عن سبب كتابة البطل في المقامة العمانية العزيمة التي صنعها للمرأة بالزعفران دون المداد ، ويشطح في ذلك رابطا الزعفران بالهند التي عرفت بأنها أرض القصص الغرائبي[١٣٧] ، والحق أن ما صنعه السروجي أمر معتاد ، فالراقون قبل الحريري وبعده وإلى يومنا هذا يكتبون الرقى والعزائم بالزعفران تفاؤلا بلونه، واستساغة لطعمه .

١٥- دراسة عبدالله الغزالي :

نشر هذا الناقد بحثه شتاء عام ٢٠٠٠م تحت عنوان (البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي) ، وكانت المقاربة مع السردية السيوطية مقتصرة على أربع مقامات هي : المقامة الأسيوطية والمقامة الجيزية والمقامة المصرية والمقامة المكية .

ويعلل هذا الانتقاء بقوله : " ولا غرابة في اختيار المقامات الأربع : الأسيوطية والجيزية والمصرية والمكية ، فهي المقامات الأربع الأولى التي كتبها السيوطي في الحرم المكي سنة ٨٦٩هـ وهو في العشرين من عمره ، ... أما بقية مقاماته فقد كتبها بعد ذلك في مناسبات وأزمنة ومواضيع شتى ، ولم تتوافر في المقامات عناصر البنية المعروفة في المقامة ، إنما اتخذت أشكالا مختلفة من الكتابة فهي أشبه ما تكون بالمقالات الدينية "[١٣٨].

وكانت بداية البحث تتبع السرد بوصفه موروثا عربيا قديما استمر حتى العصر المملوكي ، ثم قصد البحث إلى مقامات السيوطي مركزا على بنية الاستهلال السردي ، والراوي ، والبطل ، والبعدين المكاني والزماني ، والحكاية ولحظة التعرف ، ثم لغة الخطاب السردي وأسلوبه [١٣٩] .

---

(١٣٧) انظر : المرجع السابق ص١٩٥ .

(١٣٨) المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، بحث عبدالله الغزالي ، البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي، جامعة الكويت ، العدد ٦٩م ، شتاء ٢٠٠٠م ، ص٦٩ .

(١٣٩) انظر : المرجع السابق ص١٥٣ .

عند حديثه عن بنية الاستهلال السردي ذكر أنها تتضمن الراوي الحقيقي للمقامة ، ذلك الراوي الذي يحرص كل الحرص على التخفي وراء جملة الاستهلال السردي فلا يكشف عن هويته ليقوم بمهمته ثم ينسحب ، وأكد على أن البنية السردية للمقامة قائمة على أساس إسناد الخطاب ، وأن إسناد الخطاب هذا وإسناد الرواية يفيد الراوي كثيرا ويظهره بمظهر الثقة الذي لم يأت من فراغ(١٤٠) .

وفيما يتعلق بالراوي هاشم بن القاسم كشف عن أنه شخصية خيالية صنعها السيوطي ، وأنه ظهر ليؤدي وظيفته الفنية ، فهو راو ثقة يقوم بالتجوال في المدينة التي نزل فيها بعد سفر ليكتشف معالمها فينزل في مكان محدد ليلتقي البطل(١٤١) .

ولأن البطل أحد أهم العناصر في البنية السردية للمقامة فقد خصه بتعمق ، حيث تلمس أدواره وعقد صلة بينه وبين السيوطي ، كشف من خلالها عن رسوم السيوطي لملامح شخصيته ثم توصل إلى أن السيوطي استطاع " بحق أن يقيم علاقة وطيدة بين البطل والراوي والمروي لهم ، وذلك برسم الراوي لملامح هذه البطل الثقة التي أسندت إليه رواية أحداث حكايته ، وأحبه المروي لهم وتشوقوا للسماع له والنقل عنه "(١٤٢) .

أما البعدان الزماني والمكاني فهما – كما يذكر – محددان ؛ ويعزو ذلك إلى أن طبيعة السرد والحكي تستلزم تحديد هذين البعدين بوصفهما فضاء محددا تسير في إطارهما أحداث الحكاية على لسان البطل(١٤٣) .

ومن خلال تتبع سير المقامة السيوطية يصل الباحث إلى أن الحكاية تقوم على ثنائية الراوية والبطل وأن تعرف الأول على الثاني يعد عنصرا مهما في البناء السردي ، وتختلف مناطق التعرف بين مقامة وأخرى(١٤٤) .

---

(١٤٠) انظر : المرجع السابق ص١٦٣ .
(١٤١) انظر : المرجع السابق ص١٦٨ .
(١٤٢) المرجع السابق ص١٧١ .
(١٤٣) انظر : المرجع السابق ص١٧١ .
(١٤٤) انظر : المرجع السابق ص١٨٠ .

وفي نهاية البحث يقرر هذا الناقد أن " محافظة السيوطي على عناصر البناء السردي لتؤكد ذلك التواصل وتلك الاستمرارية للأشكال القصصية في أدبنا العربي منذ أن بدأت حتى عصر السيوطي المملوكي بشكل طبيعي دون تكلف ملحوظ "[١٤٥] .

وتلك نتيجة أحسبها غير دقيقة ، ولعل السبب الذي قاد هذا الباحث إلى هذه النتيجة هو أنه لم يدرس سوى المقامات التقليدية التي كتبها السيوطي في أول شبابه والتي قلد فيها البديع والحريري ، ولو وسع مجال الدرس لجميع مقاماته لتغير حكمه ، بل إن هذا التغير الذي طرأ على المقامة شكلا ومضمونا لم يكن من إبداع السيوطي ، وإنما سبق إليه ، فالمقامة قبله قد حققت نقلات مختلفة على الأصعدة كافة .

١٦- دراسة حسن النعمي :

في معالجة نصية ذات طابع تأويلي يحاول هذا الباحث أن يدرس مقامة حريرية تحت عنوان (غواية السرد في المقامة البغدادية للحريري) ، وقبل أن يشرع في مقاربته أبان عن المعنى المعجمي لكلمة الغواية كاشفا عن علاقة ذلك بالسرد ، ومؤكدا على أن الغواية لا تتحقق في جميع النصوص السردية [١٤٦].

وهو في تعامله مع النص لا ينظر إلى لغة المقامة على أنها " مزخرفة ، بل لغة سياق حكائي ، تنشد التأثير بالسرد ، وتجسد مفهوم البيان "[١٤٧] ، وهذه النظرة المبنية على تغيير مناطق الرؤية ومواطن التبئير قد انعكست على استراتيجية المعالجة ودفعتها إلى آفاق رحبة.

وعندما يدلف إلى عمق البحث يرصد أثر التنكر في الغواية بوصفه حالة من حالاتها ، ويبين علاقة المرأة بالغواية السردية في نص المقامة ، ويجتذب المكان المقامي ليعزز

---

(١٤٥) المرجع السابق ص١٨٥ .

(١٤٦) انظر : دورية جذور ، بحث حسن النعمي ، غواية السرد في المقامة البغدادية للحريري ، نادي جدة الأدبي ، العدد الثالث ، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م ، ص٢٠١ .

(١٤٧) المرجع السابق ص٢٠٨ .

به فكرة العنوان ، إذ يرى أن المسجد الذي وقعت فيه الحكاية بمجيئه منكرا قد أسهم في تعزيز فكرة الغواية في النص[١٤٨] .

وتتبدى مظاهر الغواية في هذه المقامة من خلال اللغة التي أضحت بكل تجلياتها ذات طبيعة سردية يراوح الكاتب من خلالها بين السرد والوصف ، كما ظهرت كذلك في فتنة السرد التي حوتها المقدمة والتي نالت فيها المرأة ما شاءت من العطايا بالسرد وحده[١٤٩] .

وإذا كان الراوي في كثير من المقامات الحريرية يشترك في تسيير أحداث المقامة فإنه في هذه الحكاية قد اكتفى بأن يكون مراقبا يؤدي دور المتفرج السينمائي مع شيء من الوصاية المبطنة التي تفرضها إرادته الذكورية[١٥٠].

وتمثل لحظة النهاية في المقامة منطقة التوتر الحاد ، فهي اللحظة التي سعى النص إلى الوصول إليها ، بالإضافة إلى أنها تشكل نواة النص التي ساعدته في الخروج من غواية السرد إلى حقيقة الواقع [١٥١] .

وتحضر حكايات ألف ليلة وليلة داخل بنية النقد بحكم العلاقة النسائية بين العملين فكلاهما يمثل سطوة المرأة ويميط النقاب عن قدراتها ، ويكرس أنها لا تلجأ إلى السرد إلا عند حاجتها لبلوغ غرض ما[١٥٢] .

تخلص الدراسة بعد ذلك إلى أن هذه المقامة قد كشفت " حاجتنا إلى قراءة تراثنا السردي قراءة جادة تضع في الاعتبار السياقات التاريخية والاجتماعية التي تشكل المفتاح الحقيقي والمرجعية المنطقية لفهم أبنيته ومنطلقاته "[١٥٣] .

---

(١٤٨) انظر : المرجع السابق ص٢٢٣ .

(١٤٩) انظر : المرجع السابق ص٢٢٢ .

(١٥٠) انظر : المرجع السابق ص٢٢٥ .

(١٥١) انظر : المرجع السابق ص٢٢٩ .

(١٥٢) انظر : المرجع السابق ص٢١٥ .

(١٥٣) المرجع السابق ص٢٣٠ .

و لا أجانب الصواب إذا قلت أن هذه الدراسة عملت على تشغيل الروابط الدلالية في الفضاء المقامي ، واهتمت بتنشيط التراكيب لمزيد من التأويل الذي حاولت به أن تملأ كثيرا من بياضات النص ، لكني أشعر أنها غيبت الغواية الخارجية ، حيث تحدث الدارس عن غواية المسرود لهم بشكل مباشر وهم شخوص المقامة ، ولم يكشف عن طبيعة غواية القارئ وتماهيه مع النص السردي بوصفه مرويا له من الدرجة الثانية .

١٧- دراسة سمير الدروبي :

خدم هذا الناقد المكتبة المقامية بكتاب ثمين تضمن عملا جادا ودقيقا نشر فيه مقامات السيوطي مع تقديم دراسة عنها ، ويهتم هذا البحث بالوقوف عند دراسته التالية التي استقلت أيضا بكتاب آخر تحت عنوان (الرمز في مقامات السيوطي) يشتمل على معالجة جديدة لمقامة من مقامات السيوطي هي مقامة الرياحين .

وقد جاء الكتاب في تمهيد وخمسة فصول موزعة على النحو التالي :

التمهيد : الرمز (مفهوما واصطلاحا) .

الفصل الأول : المنحى الرمزي في مقامات السيوطي .

الفصل الثاني : التفكير السياسي والرمز في مقامة الرياحين .

الفصل الثالث : مقامة الرياحين : تحليل الأنموذج .

الفصل الرابع : شخصيات المقامة بين الواقع والرمز .

الفصل الخامس : بواعث الرمز في مقامة الرياحين[١٥٤] .

---

(١٥٤) انظر : الرمز في مقامات السيوطي ، سمير الدروبي ، الطبعة الأولى ، دار البشير ، عمّان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص١٣ .

عند الحديث عن المنحى الرمزي في مقامات السيوطي عرض الباحث لجهود النقاد من مستشرقين وعرب في خدمة المقامة السيوطية ، ثم خلص إلى " أنه لم تقم دراسة منهجية تتناولها بالتحليل ، وتخرج إلى نتائج مقنعة مؤيدة بالأدلة ، بل إن ما ذكره أكثر الباحثين عنها لا يعدو أن يكون مجرد ملاحظات عابرة "[١٥٥] .

بعد ذلك تناول في الفصل الثاني علاقة السيوطي بالسلطة ، تلك العلاقة التي راوحت بين الجفاء والتوتر والمجابهة ، حيث كان السيوطي يعد حكم السلاطين المماليك حكما استبداديا دفعه إلى الإنكار عليهم لعدم رضاه عن جورهم[١٥٦] .

وعندما وصل إلى تحليل المقامة درس فيها الراوي وسلسلة السند ، وتوقف عند عنصري الزمان والمكان ، ثم عالج موضوع الحكاية وشخوصها متتبعا رسم أبعادها الثلاثة : البعد الجسمي ، والبعد الاجتماعي ، والبعد النفسي[١٥٧] .

وفي فصل تال حشد – في استقصاء وتعميق – الأدلة التي تشير على أن أمراء الرياحين الذين وردوا في المقامة والذين تنازعوا السلطة هم رموز لأمراء المماليك، وهي أدلة توزعت بين البراهين الموضوعية والتاريخية والشخصية واللغوية والفنية[١٥٨] .

وفي ختام الفصول كشف عن البواعث التي دفعت السيوطي لينحو بمقامته منحى رمزيا، وأبان أنها تمثلت في ثلاثة أسباب هي :

١- الاضطراب السياسي والاجتماعي .

٢- المعاناة والضغط النفسي .

٣- الإرهاب السياسي والاقتصادي والفكري[١٥٩] .

---

(١٥٥) المرجع السابق ص٤١ .

(١٥٦) انظر : المرجع السابق ص٤٥ .

(١٥٧) انظر : المرجع السابق ص٦٩ .

(١٥٨) انظر : المرجع السابق ص٩٣ .

(١٥٩) انظر : المرجع السابق ص١٢٧ .

وقد بذل المؤلف في جميع تلك الفصول جهدا علميا كبيرا استنفد من خلاله طاقته، وأحسب أن هذا العمل المضني هو الذي جعله يكتفي به عن اقتحام المقامة من الناحية التأويلية ، حيث لم يحاول الربط بين شخوص المقامة وشخوص سلاطين المماليك من خلال بعض العبارات التي تشير إلى ذلك الشبه .

ولإحساسه بأن العمل الرمزي داخل بنية المقامة السيوطية لم يكتمل قدم اعتذارا صدر به دراسته قال فيه : " ومما هو جدير بالذكر أن كاتب هذه السطور قد توقف في دراسته هذه عند أول مستويين في دراسة الترميز في هذه المقامة ، وهما المستوى الظاهر والمستوى الباطن ، أما المستويان الأخلاقي والروحي في هذا النص فقد أرجأت درسهما في الوقت الماثل ، راجيا من الله أن أتمكن من العود إلى دراسة الرمز في مقامات السيوطي الرمزية في جميع مستوياتها "[١٦٠] .

ومع تقديري لهذا العذر من هذا الناقد وإدراكي بأنه أحس أن العمل شاق، ولذلك لم يرد أن يجهضه بدراسة عجلى وهذا حق له نحترمه ، فإن القارئ يرى أن عملا في مقامة واحدة لا يحتمل هذا الانفصال ، وهذا التشتيت ، بالإضافة إلى أن حجم الكتاب وصل إلى (٢٨٠) صفحة ، وهو حجم ليس بالقليل ، لكن اهتمام الدروبي بإخراج النصوص وتحقيقها جعله يصرف كثيرا من الجهد في أمور تبدو لغير المحققين ثانوية ، تمثلت في عمل فهارس استغرقت تسعين صفحة هي أعلق بالعمل التحقيقي منها بالدراسات النصية ، ناهيك عن أن إثبات المقامة المحققة المستلة من تحقيقه السابق قد استغرق أيضا خمسين صفحة ، وكانت الإشارة إلى مكانها من التحقيق كافية عن نشرها مرة أخرى .

---

(١٦٠) المرجع السابق ص١٤ .

١٨- دراسة أبلاغ عبدالجليل :

تدخل هذه الباحثة على السردية الحريرية برؤية شاعرية تحت عنوان : (شعرية النص النثري : مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري) ، وتعلل ذلك الاختلاف الدخولي، بأن الدرس السردي التراثي ظل طويلا " تحت رحمة رؤية خارجية تلاطف الموضوع السردي القديم ، انطلاقا من محددات تبتعد عن المتن في حد ذاته "[١٦١] ، بالإضافة إلى أن " النص المقامي – مقامات الحريري على وجه الخصوص – جاءت في فترة اختمار التجربة النثرية العربية القديمة والمكتوبة منها على الخصوص ، فهو من النصوص المؤهلة – على الأقل من ناحية السياق الثقافي الذي ظهرت فيه – كي يحتوي ثراثا شعريا ونثريا ضخما ، خاصة وأن القراءات الأولى للنص المقامي تسمح بمثل هذا الافتراض "[١٦٢].

ولإحساسها بجدة الموضوع فقد استغرقت الفصل الأول من الكتاب في الحديث عن مراحل تطور الدراسات النقدية العربية القديمة حول الشعر والنثر متناولة رحلة الشعر والكتابة من ابن سلام إلى ابن الأثير ، ثم توقفت عند الرؤية الكلية التي تداخلت مع التخييل والأقوال الشعرية والتي بدت بشكل واضح عند عبدالقاهر الجرجاني .

ولا تزال هذه الناقدة على الرغم من أنها قطعت مسافة تزيد على ثلث الكتاب - تمثلت في الفصل الأول - لم تلامس البنية المقامية بأية مقاربة ، وإنما غدا هذا الفصل أشبه بالبحث عن هوية تمازج السردي والشعري داخل البنية الثراثية ، دون تتبع لذلك التماهي على المستوى المقامي ؛ مما يرشح جعل هذا الفصل تمهيدا يُدْخل من خلاله إلى عنوان الدراسة .

وتجد هذه الباحثة - بعدما فقدت تواشج الشعري والنثري في النقد القديم - ضالتها في النظريات الشعرية والسردية الحديثة ، فتعتمد على ميخائيل باختين محاولة استقاء

---

(١٦١) شعرية النص النثري : مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري ، أبلاغ عبـــدالجليل ، الطبعـــة الأولى ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م ، ص٥ .

(١٦٢) المرجع السابق ص٩ .

قضايا تناصية ترتبط بسلطة الإقناع مع مراعاة سياقها الذي وظفت فيه ، كما تتبنى مجموعة من القضايا التي طرحها إيف تاديي في مؤلفه (السرد الشعري) يأتي من أهمها تداخل السردي بالشعري وما ينتج عنه من تباطؤ في حركية الأحداث ، وتحديد سمات الفضاء بين دلالته الشعرية ودلالته السردية[١٦٣] .

وهنا وفي هذا الفصل يتم التداور مع البنية المقامية لدى الحريري في سعي إلى كشف أقنعتها الحاجبة لمناطق شعرية السرد ، وتتوسل الباحثة في ذلك بتصور أحمد الطريسي عن الصورة الشعرية ، وبإنجازات محمد مفتاح فيما يتعلق بمفهوم الاستعارة للوصول إلى تأويل ينسجم والفضاء الشعري السردي[١٦٤].

وعلى الرغم من هذه المنطلقات التي جذبتها الباحثة إلى عالمها فإن القارئ يحس أنها كانت تدرك قلق الموضوع ، ومن هنا لم تسع للوصول فيه إلى نتائج حاسمة ، بل كانت مقاربتها تلامس البنية الشعرية في مقامات الحريري بلغة مخاتلة وغير مخترقة ، فهي تحوم حولها في إشارة ضمنية إلى طبيعة الموضوع المحفوفة بالمخاطر ؛ ولذلك لم تستطع مع مثابرتها البحثية إقناع القارئ بخصوصية مقامات الحريري ، بحيث تكون منطقة للشعرية دون غيرها من المقامات ، بل دون غيرها من السرديات الأخرى .

وضبابية الموضوع وبعده عن النمطية قد يفرض مقاربة من هذا القبيل ، لكن القارئ لا ينبغي أن يحاكم هذا الطرح المغاير بمثل محاكماته للتناولات النمطية التي تضبط نتائجها نظرا لسهولة مسارها . ومن هنا فإن هذه المغامرة التي حلقت من خلالها الباحثة في عالم شعرية المقامة الحريرية قد مهدت لدراسات قادمة يفترض أن تتخذ من نتائج هذه الدراسة منطلقا لها .

---

(١٦٣) انظر : المرجع السابق ص١١ .

(١٦٤) انظر : المرجع السابق ص١٢ .

١٩ – دراسة نادر كاظم :

قد لا يسوغ للوهلة الأولى التعرض لكتاب هذا الدارس الذي عنوانه (المقامات والتلقي) والذي يبحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث ؛ ذلك أنه عمل لا يتمحور حول النتاج المقامي ، ولكنه يصوب عنايته للتعاملات النقدية معه ، بمعنى أنه لا يدرس النصوص بل يتوجه نحو ما قيل عن النصوص . وتبني هذا الاتجاه من قبل هذا الناقد هو الذي جعل بحثه يتقاطع مع هذا البحث في نقطة من مراجعاته ، هي أثر الهمذاني كما بينا في المدخل.

لكن إذا علمنا أن رصد الفعل القرائي للنصوص المقامية الذي قام به نادر كاظم لم يخل من شكل من أشكال التلقي من قبله زال عدم التسويغ المشار إليه .

إن هذا الناقد قد مزج الرؤية المتلقية للسردية الهمذانية برؤيته الخاصة ، بحيث بدت بصماته على مقامات البديع واضحة أثناء الالتفات إلى نظر الآخرين ، وقد أحس هذا الناقد بصعوبة الفصل بين التلقي والنص فقال في مقدمة كتابه : " واستكمالا لهذا المشهد نضيف بأن أنماط التلقي وآفاقه ليست بأكثر ثباتا من النص ، فكما أن الأفق يتغير وأنماط التلقي لا تستقر ، فإن النص بالتبعية لن يكون كينونة تامة ثابتة ... فالأفق والتلقي والنص كل أولئك في حركة دائبة لا تتوقف "[١٦٥].

يدلف هذا الكتاب في فصله الثالث إلى الأنماط الحديثة التي عدلت الرؤية نحو مقامات بديع الزمان محاولا تقسيمها إلى مسارات ذات أبعاد مميزة ، فهناك المنفذ الذي يعيد تصنيع المقامات من خلال اختراق كثافة النص ، وهناك المسار الذي يسعى إلى تنشيط التأويل وإعادة التصنيف ، بالإضافة إلى معالجات تغير مناطق التبئير وأخرى تحاول استيعاب الشذوذ، ويتقاطع هذا الكتاب في صفحاته العشر الأخيرة مع هذا البحث في المنطقة التي

---

(١٦٥) المقامات والتلقي : بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث ، نادر كاظم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص١٩ .

تشهد " استعارة نشطة وتوظيفا متصاعدا للمناهج النقدية الحديثة من شكلانية وبنيوية وأسلوبية وسيميائية وتفكيكية "[١٦٦] .

وقد تضمن هذا الكتاب بالإضافة إلى محاولاته التصنيفية المحكمة تنبيها على بعض الأعمال النقدية الجديدة التي عالجت مقامات بديع الزمان ، وهي عنده بالتحديد دراسة عبدالفتاح كيليطو ودراسة حمادي صمود ودراسة فدوى مالطي ودراسة عبدالله الغذامي ، وإذا كان الباحث قد تحاور مع كيليطو طويلا في أطروحاته ونتائجه فإنه قد أغفل الحديث تماما عن بحوث الباقين مقتصرا فقط على الإشارة إليهم على الرغم من أنهم يدخلون في عمق موضوعه من أوسع الأبواب .

ولعل أهم نتيجة توصل إليها نادر كاظم في هذا الموضوع هي أن المسار الذي اجترحته قراءة كيليطو والغذامي كفيل بإنقاذ التلقي " من الوقوع في شرك أزمة ، أو مأزق ناتجين عن تثبيت فعل القراءة على الشكل السردي الثابت في المقامات ، فقد استطاعت هاتان القراءاتان التحرر من خطورة التبئير والتثبيت ، وهو ما مكنهما من تجاوز أشكال القصور المتوقعة ، للمضى إلى آفاق واعدة تكون أكثر رحابة وعمقا وجمالا ، حيث تغدو القراءة فعلا إبداعيا آخر ، يرمي إلى اقتناص متعة النص من خلال تحقيق متعة القراءة "[١٦٧].

وإذا كانت هذه النتيجة قد ثُبِّتت على هاتين الدراستين فحسب فإن ذلك يعنى بالضرورة أن دراسة حمادي صمود وبحث فدوى مالطي لم يتحقق معهما ذلك ، بل كان الأمر مختلفا ، وهذه النتيجة الضمنية تواري - في تغافل غير مبرر - المنجزات التي تحققت في عملي صمود ومالطي .

---

(١٦٦) المرجع السابق ص٣٩٣ .

(١٦٧) المرجع السابق ص٤٠٤ .

٢٠- دراسة علي بن تميم :

يحيل كتاب هذا الناقد (السرد والظاهرة الدرامية: دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم) على المستوى الدرامي في البنية السردية الثراثية ، ولأن المقامة جزء من الجنس السردي فقد انضوت تحت هذه الدراسة .

ويعلل ربطه الدراما بالسرد في مفتتح كتابه ، ثم يكشف عن منهجه قائلا " تؤكد المناهج النقدية الجديدة تقلص الحدود التي تفصل بين الأجناس الأدبية والفنية ، فلم تبق الأنواع ثابتة ، فالتوقعات الشكلية والنماذج البنيوية المتكررة انزاحت – ولا نقول اختفت – فممارسة الكتابة بحسب الأنواع غدت أقل من قبل فظهرت مفاهيم جديدة لا توصي الكتاب بقواعد معينة ، فهي تفرض أنه بالمستطاع مزج الأنواع التقليدية وإنتاج نوع جديد ، وهذا ما جعل النقاد يبحثون عن تقنيات السرد في الشعر ، وعن الشعرية في السرد ، وعن الدرامية في الشعر والموسيقا ... إلخ ، فالدراسة التي بصددها الباحث تركن إلى مثل هذه التوجهات ، فهي لا تعتمد على الإشكال الذي طرحه الدراسون المحدثون حينما تناولوا أجزاء من السرد العربي القديم على أساس أنه فن مسرحي ، وإنما تحاول الدراسة كشف رؤية النقد الحديث للتقنيات الدرامية في السرد العربي القديم دون استجلاب ما هو من خارج عنه ودون تعسف في التحليل "[١٦٨] .

ولعل القارئ أن يعذرني في إطالة النقل في الفقرة السابقة ، تلك الإطالة التي كان لا بد منها لمعرفة المنطلقات التي يتبناها هذا الناقد والتي لم نرها على أرض الواقع عند قراءة الكتاب ، فالدراسة انزلقت نحو حشد نقلي لما قاله النقاد العرب بخصوص موضوعه دون محاولة منه لتقديم وجهة نظره الخاصة ، فهو عندما يتناول المقامة الهمذانية يشير إلى الجهود النقدية التي سبقته في التحليل مع صمت مطبق عن رأيه ومنجزاته .

---

(١٦٨) السرد والظاهرة الدرامية : دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم ، علي بن تميم ، ص٥ .

لقد فاض الكتاب بأقوال غيره في موضوعه ، فهو يستعرض فيما يتعلق بمقامات بديع الزمان آراء علي الراعي وعلي عقلة عرسان وإبراهيم السعافين وجابر قميحة وعبدالرحمن ياغي ، بل إن بعض تلك النقولات قد تتجاوز الصفحتين ، كما في النص الذي نقله عن كتاب المرأة واللغة[١٦٩] .

وإذا كان العنوان الذي اختاره هذا الدارس لبحثه هو الذي جر عليه تلك المآخذ، وهو الذي ساقني إلى تلك الأحكام فإني أقترح عليه لصعوبة تغيير محتواه أن ينشره مستقبلا تحت عنوان (السرد والظاهرة الدرامية : بحث في التلقي النقدي الدرامي للسرد العربي القديم) فبهذا العنوان يسلم من كثير من المآخذ الموجهة إليه ، ويكون التواؤم بين العنوان والمادة متحققا .

٢١- دراسة فيصل دراج :

في كتابه الرواية وتأويل التاريخ عقد هذا الناقد مبحثا تحت عنوان : فتنة الماضي وسطوة الأصول في ليالي سطيح ، ومن نافلة القول الإشارة إلى أن ليالي سطيح لحافظ إبراهيم تعد لونا من ألوان المقامة العربية .

وقبل مقاربة العمل يستدعي هذا الباحث (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي رابطا بين العلمين بقوله : " أصدر شاعر النيل حافظ إبراهيم عام ١٩٠٦م عمله ليالي سطيح بعد ستة أعوام من ظهور حديث عيسى بن هشام . تقاسم العملان مراجع تراثية متقاربة ، بعث أحدهما مقامة بديع الزمان الهمذاني ، وأيقظ الثاني سطيح الكاهن مسجوع اللغة الذي عاش قبل الإسلام ، وحدت بينهما رغبة بنقد الحاضر ودعوة إلى إصلاحه ، ولعل ما قارب

---

(١٦٩) انظر : المرجع السابق ص١٨٦ .

بين العملين هو ما جعل إبراهيم يضمن عمله سطورا من كتاب المويلحي ، موجها تحية معلنة إلى الزميل الذي قصر عن محاكاته ، وشاطره دعوة صريحة إلى الحداثة الاجتماعية "[١٧٠] .

وعلى الرغم من ظهور هذا العمل المقامي في الزمن الروائي فإن الكاتب يرى أن الحداثة الفكرية لصيقة بهذا النتاج ، بحيث تبدت في الخطاب النقدي الذي يطالب بواقع بديل وفي الكتابة الواضحة التي تؤيد موقفا دون آخر[١٧١] .

وتمثل لغة المقامة مظهرا مغريا لهذا الناقد بالدرس والبحث ، فهو يرى بعد تأمل بنيتها أنها تأخذ " وظيفة ثلاثة أبعاد : فهي هوية وطنية ثقافية تواجه غازيا أجنبيا مختلف اللغة والثقافة ، والمرجع الوطني المقدس الذي ينوب عن سلطة وطنية مؤجلة ، وهي شرط لازم لا وجود للسلطة الوطنية من دونه ولا ماهية لها إن تحافظ عليه وتتمسك به "[١٧٢].

ولعل نقص الاستقراء من قبل هذا الناقد لطبيعة المقامة الثراثية هو الذي جعله يقول بعد فحص مضامين المقامة ولغتها : " أملى الوعي المنقسم على حافظ إبراهيم أن يكتب المقامة وأن يمحوها في آن ، كتبها وهو يتبختر بلغة زخرفية مثقلة بالسجع والطباق ، ومحاها وهو يضع في اللغة المزخرفة هموما وطنية راهنة مشخصة . يطرد الوعي السياسي الشكلانية اللغوية ، ويطرد الوعي اللغوي المساءلة السياسية "[١٧٣] .

إن هذا التنافر المرتسم في ذهن هذا الناقد بين الاجتماعي واللغوي هو الذي ساقه إلى القول بغرابة ما صنعه حافظ إبراهيم ، فلم يستسغ مجيء الرؤية السياسية في قالب لغوي تراثي ، وكأن المقامة لا تهتم إلا بالزخرف فحسب ، في حين أن الوعي الاجتماعي ولد مع المقامة الهمذانية ولم يكن غريبا عنها ، وظل الجنس المقامي بعد هذا الرائد ينضح بالرؤى

---

(١٧٠) الرواية وتأويل التاريخ : نظرية الرواية والرواية العربية ، فيصل دراج ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م ، ص٥٣ .

(١٧١) انظر : المرجع السابق ص٥٣ .

(١٧٢) المرجع السابق ص٥٦ .

(١٧٣) المرجع السابق ص٥٧ .

السياسية ، ويتبنى القضايا الاجتماعية على امتداد تاريخه . فلم يكن صنيع حافظ إبراهيم بدعا من المقامين .

٢٢- دراسة ضياء الكعبي :

تصدت هذه الباحثة في كتابتها (السرد العربي القديم : الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل) لمشروع نقدي ضخم ، حاولت من خلاله مقاربة السردية التراثية من خلال أنواع السرد الكبرى في أدبنا العربي ، وقد تمثلت هذه الأنواع في القصة العجائبية والمقامات والسير الشعبية ، وتعلل لهذا الاقتصار بقولها : " وسبب اختياري لهذه الأنواع السردية عائد إلى أنها تشكل جانبا كبيرا من الموروث السردي من خلال ضخامة متونها التي تصل إلى آلاف الصفحات ، كما أن هذه الأنواع نصوص مولدة ومتداخلة من أنواع أدبية عدة في الأدب العربي القديم "[١٧٤] .

والكتاب مكون من بابين ، في الأول منهما أفاضت في الحديث عن التشكلات السردية والأنساق الثقافية في السرد العربي القديم ، وفيما يخص المقامة تحاورت مع فضاء المقامة الدلالي ثم رصدت الروافد التي تمتح منها ، وبعد ذلك توقفت عند تشكل النص المقامي عند البديع والحريري وانفتاح البنية المقامية بعدهما على الخبر والشعر والرحلة والرسالة والمناظرة والمأدبة[١٧٥] .

ويوهم تعاملها مع النصوص المقامية المنفتحة أنها لم تطلع في تقسيماتها على دراسات من سبقها فهي لا تحيل إلى سابق لها فيما ذهبت إليه من تجزيئات ، في شكل من أشكال الريادة لهذا الطرح الذي تنسبه إلى نفسها بخلوه من الإحالة ، وقد يكون الأمر كذلك ، فالحافر قد يقع على الحافر ، لكنها على كل حال قد سبقت إلى ذلك من قبل أحد

---

(١٧٤) السرد العربي القديم : الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ، ضياء الكعبي ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م ، ص١١ .

(١٧٥) انظر : المرجع السابق ص١٠٠ .

الباحثين الذين قاربوا البنية المقامية من خلال تفكيكها إلى أجناس مماثلة لتقسيم الباحثة السالف الذكر[١٧٦] .

أما الباب الثاني فكان خاصا بآفاق تلقي الموروث السردي في النقد العربي القديم والحديث ، وفيه بذلت الباحثة جهدا مضاعفا سواء فيما يتعلق بالجمع والتصنيف أو فيما يتصل بمحاورة تلك التلقيات .

لقد تتبعت مواقف المتلقين للسرد العربي القديم منذ ولادته حتى عصرنا هذا ، وعند تماسها مع المقامة كشفت عن أنماط التلقي لدى النقاد القدامى ، ثم أعقبت ذلك بدرس مفصل للتلقي في النقد العربي الحديث والنقد الجديد ، وهي في كل ذلك تنطلق من رؤية واضحة للمناهج النقدية المعاصرة من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ، بل تتابع أحدث التلقيات المتصلة بالنقد الثقافي الذي لا يعزل النصوص عن أنساقها الثقافية .

ولعل أهم نتيجة توصلت إليها في بحثها تتمثل في أن أنماط التلقي التي تفيد من المنجزات النظرية النقدية الغربية قد تفاوتت في تعاملها مع المرجعية النقدية الغربية " بين التطبيق الآلي الصارم الذي تتحول الدراسات النقدية فيه إلى تمرينات شكلية بحتة ، وبين التمثل الإبداعي الذي ينظر إلى الأنواع السردية في علاقتها بالأنساق المعرفية والثقافية للمجتمع العربي الإسلامي "[١٧٧].

وأحسب أن ضخامة الموضوع وتعدد أجناسه هو الذي دفع الباحثة إلى عدم الاستقصاء فيما يتصل بالأنماط الحديثة في التلقي المقامي ، فقد أغفل الكتاب جهودا قيمة تفاعلت مع السردية المقامية وشكلت رافدا من روافد التلقي الجديد، وقد صدرت تلك الأعمال قبل ظهور عملها النقدي ، ومن أهم تلك المنجزات :

---

(١٧٦) انظر تفكيك البنية المقامية المنفتحة في كتاب المقامات المشرقية ، خالد الجديع ، ص٤٢٩ .

(١٧٧) المرجع السابق ص٥٢٦ .

١- دراسة ناصر موافي عن مقامات بديع الزمان في كتابه القصة العربية عصر الإبداع : دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري (١٩٩٥م) .

٢- دراسة عبدالملك مرتاض ، التي عالج فيها المقامة الياقوتية للسيوطي من منظور سيميائي في كتابه مقامات السيوطي (١٩٩٦م) .

٣- دراسة مصطفى ناصف عن المقامة في كتابه محاورات مع النثر العربي (١٩٩٧م) .

٤- دراسة عبدالنبي اصطيف ، وعنوانها : المقامة السيوطية : دراسة نصية ، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٩٧م) .

٥- دراسة أيمن بكر ، وعنوانها : السرد في مقامات الهمذاني (١٩٩٨م) .

٦- دراسة رشيد الإدريسي ، وعنوانها : سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة (٢٠٠٠م) .

٧- دراسة عبدالله العزالي عن البناء السردي في مقامات السيوطي في المجلة العربية للعلوم الإنسانية (٢٠٠٠م) .

٨- دراسة حسن النعمي عن غواية السرد في المقامة البغدادية للحريري ، في دورية جذور (٢٠٠٠م) .

٩- دراسة خالد الجديع عن البنية السردية في المقامة المشرقية في كتابه المقامات المشرقية "٥٥٠ — ١٢٠٠هـ" (٢٠٠١م) .

١٠- دراسة سمير الدرويي ، وعنوانها : الرمز في مقامات السيوطي (٢٠٠١م).

١١- دراسة أبلاغ عبدالجليل ، وعنوانها : شعرية النص النثري : مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري (٢٠٠٢م) .

ثالثا - تركيب ونتائج :

بعد هذه الرحلة الممتدة مع أنماط التلقي الجديدة للسردية المقامية ، تلك الأنماط التي استقطبت النظرات الغربية المتنوعة لتفحص بها بنية السرد في العمل المقامي أخلص إلى ما يلي :

١- أن تلك الجهود قد طرحت ثمرات يانعة أثرت التعامل التحليلي وأسهمت في توجيه الدرس النقدي إلى مناطق ما كان له أن يبلغها لو تجاهل تلك المعطيات . وتلك نتيجة لا يسوقنا إليها الانبهار بالآخر والغض من شأن الذات ، فهذه النظرة قد تجاوزها النقد إلى غير رجعة ، ولكن الحادي إلى النتيجة السالفة هو ما لمسناه من تغيرات طرأت على الرؤية النقدية لما انفتحت على تلك الآفاق.

٢- كان للسرد لدى بديع الزمان الهمذاني الحظ الأوفر من تلك الدراسات، ولا يعود ذلك - في ظني - إلى ريادته فحسب ، بل إلى ما تتمتع به مقاماته من إغراء يسحب الأنظار النقدية إليها ، وتعد دراستا ناصر الموافي وأيمن بكر من أجود الدراسات التي لامست السردية المقامية عند الهمذاني ، على أنه يؤخذ على بعض الأبحاث إعادة دراسة المقامة الواحدة أكثر من مرة ، وذلك كما رأينا عند فدوى مالطي وحمادي صمود وتوفيق بكار الذين استداروا جميعا نحو المقامة المضيرية دون غيرها من المقامات التي لا تقل عنها تميزا وإغراء ، وربما كانت شهرتها وراء هذا الإقبال .

٣- تراوحت المناهج التي درست السردية المقامية عند الحريري بين المنهج التأويلي كما عند رشيد الإدريسي والمنهج الباحث عن الشعرية داخل النص السردي كما لدى أبلاغ عبدالجليل ، وإذا كانت الدراسة الأولى قد نجحت في تنشيط التراكيب وملء بياضات النص من خلال

التأويلات المتأنية فإن الثانية كانت أقل نجاحا لأنها لم تستطع تقديم نتائج ترشح مقامات الحريري لمثل تلك المعالجة .

٤- جاءت الدراسات المتجهة إلى مقامات السيوطي أكثر تنوعا على الصعيد المنهجي فقد درست مقاماته المنفتحة دراسة نصية كما عند عبدالنبي اصطيف ، ثم تناول عبدالله الغزالي البنية السردية في مقاماته التقليدية ، وكان للاتجاه السيميائي حظ في الدرس النقدي السيوطي تمثل في معالجة عبدالملك مرتاض ، بالإضافة إلى أن الجانب الرمزي سجل حضورا لافتا بدا فيما أنجزه سمير الدروبي .

٥- توصل الباحث إلى أن الناقد عبدالفتاح كيليطو هو رائد الدراسات المقامية التي تفيد من المنجز الغربي ، ولم تأت هذه الريادة من أسبقيته في دراسة الجنس المقامي ، فقد تقدم عليه محمد رشيد ثابت ، وإنما تحققت ريادته من خلال عدد الكتب والأبحاث التي قدمها ، وكثرة المقاميين الذين تعرض لهم ، وجودة الدراسة التي أنجزها .

٦- أغفلت تلك الدراسات جميعها دراسة مقامي كبير له إضافاته في عالم المقامة، هو ركن الدين الوهراني ، ويمكن أن تقود دراسة بنية الحلم في المنام الكبير الذي يضمه نتاجه إلى نتائج تغير كثيرا من الأحكام التي ألصقت بالمقامة .

٧- لم تلتفت تلك الدراسات إلى مقامي محترف غربل السردية المقامية فأخذ منها وترك ، وكان له بصماته في الجنس المقامي ، ذلك هو ابن الجوزي الذي كتب خمسين مقامة وعظية تبتعد عن المباشرة . وتفيد من تقنية الراوية ضاربة الصفح عن شخصية البطل المقامي .

٨- أصابت مقامات الزمخشري على أهميتها لقطة ومضية من قبل عبدالفتاح كيليطو في كتابة الأدب والغرابة ، وهي قمينة بمواصلة التنقيب في بنيتها السردية التي اختطت لها طريقا مختلفا .

٩- يعد ابن الصيقل الجزري من كبار الكتاب الذين تأنقوا في لغتهم المقامية، وهذا المنحى إذا أعيدت فيه مناطق التبئير يغري بدراسة تهتم بشعرية السرد في نتاجه المقامي .

١٠- رغبة في إغناء الدرس المقامي فإني أدعو إلى تبني ما أسميه المشروعات ذات الطابع المسحي العمقي المزدوج ، وأقصد به أن تتم دراسة عنصر من عناصر المقامة عمقيا دون غيره ، لكن من خلال مسح النتاج المقامي كاملا على امتداد عصوره ومناطقه ، فيُدرس الراوية في المقامات ، والبطل في المقامات ، والزمان والمكان في المقامات ...إلخ .

١١- إذا كان انفصال المنهج وأحاديته قد يقود في كثير من الأحيان إلى إلحاق الضرر بالنص فإني أنادي عند تبني منهج غربي معين سيمائي أو تفكيكي أو بنيوي ألا يستأثر وحده بالدراسة النصية ، بل تترافد المناهج مقرونة برؤى نقادنا القدامى لنصل إلى مشروع متكامل يرفع شعار (لا ارتماء ولا انكفاء) .

١٢- جميع تلك الدراسات كانت تنتظر نشر الأعمال المقامية وبعثها من أقبية المخطوطات ، وأقترح أن يكسر أفق الانتظار فتتوجه الأبحاث نحو التراث المخطوط الذي لا يعني عدم نشره أنه لا يتسم بالثراء والتنوع .

١٣- كشفت الأبحاث عن أن السردية المقامية غنية مكتنزة ، لا تقل في ثرائها عن الأجناس السردية التراثية الأخرى ، وربما تجاوزتها إبداعا ونقدا ، بل إنها لا تقل عمقا عن الأعمال الروائية الحديثة ، وهذا رأي لا أجنح

له نتيجة الانحياز لموضوعي ، بل قد تم التوصل إليه من خلال رصد النتائج التي ساقت إليها البحوث والدراسات المحاورة للسردية المقامية .

١٤- وأخيرا فإذا كان هذا البحث يدخل في باب تلقي التلقي للسردية المقامية فإني أقترح أن يعمم هذا التعامل مع الأجناس السردية التراثية الأخرى كالقصة العجائبية والقصة الخرافية والسير الشعبية ... إلخ ، بحيث ترصد الأعمال النقدية الجديدة التي داورتها ثم يعكف على دراستها وتقويمها.

المصادر والمراجع

أولا – الكتب :

١- الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للطباعة النشر ، بيروت ، ١٩٨٢م .

٢- أسطورة الأدب الرفيع ، علي الوردي ، دار كوفان للنشر، بيروت ، ١٩٩٤م .

٣- إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، نصر حامد أبو زيد ، الطبعة السابعة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء، ٢٠٠٥م .

٤- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير ، جمال الدين بن الشيخ ، ترجمة محمد برادة وآخرين، الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٥- ألف ليلة وليلة : دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد ، عبدالملك مرتاض ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م .

٦- بناء النص التراثي ، فدوى مالطي دوجلاس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٧- البنية القصصية في رسالة الغفران ، حسين الواد ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٨- البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام ، محمد رشيد ثابت ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٣٩٥م – ١٩٧٥م .

٩- بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة ، المصطفى مويقن ، الطبعة الأولى ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ٢٠٠٥م.

١٠- بيان شهرزاد : التشكلات النوعية لصور الليالي ، شرف الدين ماجد ولين، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

١١- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٠م.
١٢- التلقي والتأويل ، محمد مفتاح ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م .
١٣- الحكاية الخرافية ، فريدرش فون دير لاين ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، مراجعة عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
١٤- الحكاية والتأويل : دراسات في السرد العربي ، عبدالفتاح كيليطو ، الطبعة الأولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨م .
١٥- ذخيرة العجائب العربية : سيف بن ذي يزن ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م .
١٦- الرمز في مقامات السيوطي ، سمير الدروبي ، الطبعة الأولى ، دار البشير ، عمّان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٧- الرواية وتأويل التاريخ : نظرية الرواية والرواية العربية ، فيصل دراج ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م .
١٨- الرواية والتراث السردي ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
١٩- السرد العربي القديم : الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ، ضياء الكعبي ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
٢٠- السرد في مقامات الهمذاني ، أيمن بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .

٢١- السرد والظاهرة الدرامية ، علي بن تميم ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م .

٢٢- سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ، محسن جاسم الموسوي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م .

٢٣- السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، عبدالله إبراهيم ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

٢٤- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٥- سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة ، رشيد الإدريسي ، الطبعة الأولى ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٢٦- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

٢٧- شرح مقامات جلال الدين السيوطي ، تحقيق سمير الدروبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٨- شعرية النص النثري : مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري ، أبلاغ عبدالجليل ، الطبعة الأولى ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢٩- صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، نادر كاظم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

٣٠- طرائق تحليل السرد ، لفيف من الباحثين الغربيين ، ترجمة عدد من الباحثين العرب ، الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ١٩٩٢م .

٣١- العين والإبرة : دراسة في ألف ليلة وليلة ، عبدالفتاح كيليطو ، ترجمة مصطفى النحال ، مراجعة محمد برادة ، الطبعة الأولى ، نشر الفنك ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦م.

٣٢- الغائب : دراسة في مقامة للحريري ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م .

٣٣- القارئ في الحكاية ، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٦م .

٣٤- قال الراوي : البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م .

٣٥- القراءة والحداثة : مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية ، حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠م .

٣٦- القصة العربية عصر الإبداع : دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري، ناصر الموافي ، الطبعة الثالثة ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٣٧- قصصيات عربية ، توفيق بكار ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ٢٠٠١م .

٣٨- القصيدة والنص المضاد ، عبدالله الغذامي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م ، ص١١٣ .

٣٩- الكلام والخبر ، سعيد يقطين ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٧م .

٤٠- كنوز الاجداد ، محمد كرد علي ، مطبعة الترقي، دمشق ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.
٤١- محاورات مع النثر العربي ، مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، العدد ٢١٨ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٤٢- مجتمع ألف ليلة وليلة ، محسن جاسم الموسوي ، الطبعة الأولى ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٠م .
٤٣- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت ، ترجمة منذر العياشي ، الطبعة الثانية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، ٢٠٠٢م .
٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
٤٥- المشاكلة والاختلاف : قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، عبدالله الغذامي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٤م .
٤٦- المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٩م .
٤٧- مقامات الحريري ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
٤٨- المقامات : السرد والأنساق الثقافية ، ترجمة عبدالكبير العلمي ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٣م .
٤٩- مقامات السيوطي : دراسة ، عبدالملك مرتاض ، الطبعة الأولى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٦م .
٥٠- المقامات المشرقية (٥٥٠ — ١٢٠٠هـ)، خالد الجديع ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٥١- المقامات والتلقي : بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث ، نادر كاظم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

٥٢- مقامات ورسائل أندلسية : نصوص ودراسات ، فرناندو دي لاجرانخا ، ترجمها وقدم لها عبد اللطيف عبد الحليم ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الفجر الجديد ، ١٩٩٣م .

٥٣- المكان في رسالة الغفران : أشكاله ووظائفه ، عبدالوهاب زغدان ، تقديم محمد الخبو ، الطبعة الثانية ، دار صامد للنشر والتوزيع ، صفاقس – الجمهورية التونسية ، ١٩٩٥م.

٥٤- المنهج الجدلي في تحليل القصص ، جدلية الحكمة والسلطان ، تحليل نص مثل الأرنب والأسد ، توفيق بكار ، ندوة القراءة والكتابة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، ١٩٨٨م .

٥٥- نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، حسن مصطفى سحلول ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .

٥٦- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠٣م .

٥٧- نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جينيت وآخرون ، ترجمة مصطفى ناجي ، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م .

٥٨- النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبدالله الغذامي ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

٥٩- الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة ، حمادي صمود ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨م .

٦٠- الوجود والزمان والسرد ، بول ريكور ، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

ثانيا – المجلات :

٦١- جذور ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، بحث حسن النعمي ، غواية السرد في المقامة البغدادية للحريري ، العدد الثالث ، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م .

٦٢- _____ ، سعيد يقطين ، بحث بيان القراءة عند ابن المقفع من خلال عرضه لكتاب كليلة ودمنة ، العدد الثالث ، ذو القعدة ١٤٢٠هـ- مارس ٢٠٠٠م .

٦٣- _____ ، بحث ورد محمدي مكاوي العزب ، الملامح القصصية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، العدد الثالث ، ذو القعدة ١٤٢٠هـ - مارس ٢٠٠٠م .

٦٤- حوليات الجامعة التونسية ، بحث عبدالعزيز شبيل ، البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، العدد ٢٩ ، ١٩٨٨م .

٦٥- _____ ، بحث حمادي صمود ، الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان للجاحظ ، العدد ٤٥ ، ٢٠٠١م .

٦٦- _____ ، بحث صالح بن رمضان ، الإمتاع والمؤانسة وطروس الكتابة ، العدد ٤٥ ، ٢٠٠١م.

٦٧- ـــــــــــــــــ، بحث علي عبيد ، تحليل النص الخرافي القديم : حديث خرافة أنموذجا ، العدد ٤٥ ، ٢٠٠١م .
٦٨- الحياة الثقافية ، تونس ، بحث توفيق بكار ، جدلية الأدب والذهب : المقامة المضيرية من مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ، العدد ٦١ ، ١٩٩١م .
٦٩- دراسات أندلسية ، تونس ، بحث توفيق بكار ، جدلية المماثلة والمقابلة في التوابع والزوابع لابن شهيد ، العدد ١٠ ، ١٩٩٤ م .
٧٠- فصول ، بحث فريال جبوري غزول ، البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة ، مجلد ١٢ ، العدد ٤ ، ١٩٩٤م .
٧١- ـــــ ، بحث فريال جبوري غزول ، قصص الحيوان في موروثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي ، العدد ١٣ ، ١٩٩٤م .
٧٢- ـــــ ، بحث ألفت كمال الروبي ، تشكل النوع القصصي : قراءة في رسالة التوابع والزوابع ، ، المجلد ١٤ ، العدد ٤ ، ١٩٩٦م .
٧٣- ـــــ ، بحث محمد منصور أباحسين ، مقاربة سيميائية لمحفزات السرد والنص الباطن في سيرة الظاهر بيبرس ، ، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٢م .
٧٤- فواصل ، بحث فرج بن رمضان ، في القراءة الأدبية للنص : رسالة الغفران ، الجزء الأول ، دار محمد علي الحامي للنشر ، ١٩٩٠م .
٧٥- المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، بحث عبدالله الغزالي ، البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي ، العدد ٦٩م ، شتاء ٢٠٠٠م.
٧٦- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، بحث عبد النبي اصطيف ، المقامة السيوطية : دراسة نصية ، ج٣ ، المجلد الثاني والسبعون ، صفر ١٤١٨هـ - تموز (يوليو) ١٩٩٧م .
٧٧- نزوى ، عمان ، بحث سعيد يقطين ، سيرة بني هلال : مدخل إلى قراءة جديدة ، العدد ٣ ، ١٩٩٥م .

Abstract

New Narrative Studies: Reading Almakamah as Model

In the past two decades, the Arab narrative has been subjected to a huge critical leap which transferred it to new areas by changing areas of focalization and reading spots. It is not a profound conclusion to attribute that to utilizing modern critical approaches which try to deconstruct traditional structure then seek to rebuild it according to technical styles, and track signal flares within the structure by using semantic productions that bring about shifting in dealing with Arab narrative which has been seen to be a product of the era of degradation.

The study aimed at focusing on new readings which interacted with narrative Almakamah and gave it special attention. In other words, this study does not deal with the art of Almakamah as many studies and research do, it falls into receiving receptive, that means reading these readings without direct confrontation of the texts, and leading the reader to what has been said about it in an attempt to assess these readings and views. Moreover, the purpose of the study was to examine critical achievements that studied narrative Almakamah by employing new approaches and theories such as formalism, structuralism, deconstructionism, poeticism, and semanticism. Therefore, the researcher believes these theories and studies have achieved remarkable success that should be tracked and recognized their effectiveness.

Consequently, the research tried to bring together scattered and sporadic studies to make analysis, evaluation, and classification for them, in order to reach the results achieved through the adoption of the modern critical approaches.

However, this study did not tend to explorate such studies for celebrating novelty only, but also it felt that these studies have done distinguished job in terms of dealing with narrative Almakamah. This feeling was not fallacious; the dialogue with those achievements has proven the sense of advanced views.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية.	٥
مدخل.	٧
أولا- لائحة الأبحاث والدراسات.	١٦
ثانيا- جهود النقاد في دراسة السردية المقامية (وصف ونقد):	١٩
١- دراسة محمد رشيد ثابت.	١٩
٢- دراسة عبدالفتاح كيليطو.	٢٢
٣- دراسة فدوى مالطي دوجلاس.	٢٧
٤- دراسة حمادي صمود.	٣٠
٥- دراسة توفيق بكار.	٣٣
٦- دراسة عبدالله إبراهيم.	٣٥
٧- دراسة عبدالله الغذامي.	٣٧
٨- دراسة ناصر الموافي.	٤١
٩- دراسة عبدالملك مرتاض.	٤٤
١٠- دراسة محسن جاسم الموسوي.	٤٨
١١- دراسة مصطفى ناصف.	٥١
١٢- دراسة عبدالنبي اصطيف.	٥٤
١٣- دراسة أيمن بكر.	٥٥
١٤- دراسة رشيد الإدريسي.	٥٧

الموضوع	الصفحة
١٥- دراسة عبدالله الغزالي.	٦٠
١٦- دراسة حسن النعمي.	٦٢
١٧- دراسة سمير الدروبي.	٦٤
١٨- دراسة أبلاغ عبدالجليل.	٦٧
١٩- دراسة نادر كاظم.	٦٩
٢٠- دراسة علي بن تميم.	٧١
٢١- دراسة فيصل دراج.	٧٢
٢٢- دراسة ضياء الكعبي.	٧٤
ثالثا- تركيب ونتائج.	٧٧
المصادر والمراجع.	٨١
المخلص باللغة الإنجليزية.	٨٩
فهرس المحتويات.	٩١